وَظيفةُ المحسّن البَديعي الذاتية وأثرُها الجمالي
دراسةٌ في آياتٍ مِنْ القرآنِ الكريم

إعداد

د / محمد بن علي بن عايض بن درع

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية

في كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد

وَظيفةُ المحسّن البَديعي الذاتية وأثرُها الجمالي دراسةٌ في آياتٍ مِنْ القرآنِ الكريم

محمد بن علي بن عايض بن درع
قسم اللغة العربية (البلاغة والنقد) ،كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: Dera.m1388@gmail.com

الملخص :

هذا دراسة متخصصة في جزئية من التطبيق العَمَلي على آياتٍ من القرآن الكريم، وقد وسمتها بـ: **وظيفة المحسن البديعي الذاتية وأثرها الجمالي – دراسةٌ في آياتٍ من القرآن الكريم** . أقمتها على المنهج التحليلي يقوم على اختيار عينة من الآيات ، وذلك بناء على توافقٍ مع الغرض المنشود ، ثم العرض والتحليل .

وانتظمت الدراسة في تمهيد ومبحث رئيسي تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة . أما التمهيد فقد كشف عن أمرين هما : الأول : التعريف بعلم البديع وتطوّره عبر القرون ، ومناقشة المصطلح الذي استقر عليه عند المتأخرين . والثاني : الحديث عن قضية البحث ، وهي البديع بين العرضية والذاتية .

وفي المقدمة تناولت الدراسة أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه والدراسات السابقة له ومنهجه وخطته . وتناول المبحث الرئيسي الدراسة التحليلية للآيات ؛ بهدف فهم سياقاتها ودراستها وبيان أهمية علم البديع فيها وكيفية تناوله لها ، وتحليلها تحليلاً منهجياً ، يكشف عن دلالاتها البلاغية ومعانيها البيانية ، ووظيفتها الذاتية .

ولم تقتصر دراسة الشاهد القرآني – هنا – على الفنّ البديعي فحسب ، بل تعاضد مع صنويه وأخويه المعاني والبيان .

وأنهيت الدراسة بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي تمخضت عنه الدراسة ، ومنها : لم يكن البديع في القرآن الكريم ، وفي غيره من الفنون فناً للزينة والزخرفة اللفظية المجردة ، بل كان ركناً ذاتياً أصيلاً بلاغيا مهماً ، ووسيلة محورية فاعلة للكشف عن كثير من الإبعاد الدلالية والجمالية والتأثيرية في المتلقي .

الكلمات المفتاحية : بلاغة البديع ، المحسن البديعي ، وظيفته الذاتية ، الأثر الجمالي

Self-enhancing Creative Enhancer's Function and its Aesthetic Effect

Study of verses from the Holy Quran
Mohammed bin Ali bin Ayyad bin Dara
Department of Arabic Language (Rhetoric and Criticism), Faculty of Humanities, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: Dera.m1388@gmail.com

Abstract :
This is a study that specializes in part of the practical application of verses of the Holy Quran, and it has been called: the function of the self- figurative style and its aesthetic effect - a study in verses of the Holy Quran .I have employed the analytical method based on the selection of a sample of verses, based on compatibility with the desired purpose, then presentation and analysis.
The study is organized in a major preface and a main section that are preceded by an introduction and followed by a conclusion.
The preface has revealed two things: the first one: the introduction of the figurative style and its evolution through centuries, and the discussion of the term that is agreed by the latecomers. The second one: the discussion of the research issue which is fascinating between occasional and subjective.
In the introduction, the study has examined the significance of the research and the reasons for its selection, objectives, literature reviews, methodology, and its plan. The main examination has dealt with the analytical study of the verses. It aims to understand its contexts, study them, and demonstrate the significance of its figurative style and how it is handled analyzing them systematically.
Reveals its rhetorical connotations, graphic meanings, and self-function.
The Quranic witness's study - here - is not limited to the figurative art, but supported his Sunnaweh and his brothers, meaning and style.

Keywords: Prophet's Rhetoric, Prophetic Enhancer, Self-Function, Aesthetic Effect.

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمّد ، وعلى آله وصحابته أجمعين ، وبعد :

بدأت الدراسات المنهجية في البلاغة العربية بدراسة فنون البديع على يد عبد الله بن المعتز وذلك في كتابه البديع ، ومضت مسيرة البحث البلاغي عبر العصور الأدبية ، ونالت فنون البديع جُلّ اهتمام العلماء كما نرى في مؤلفات قدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني وعبد القاهر وابن سنان . وكان البديع عندهم يطلق على معظم الصور البلاغية التي صنفت بعد ذلك في علوم ثلاثة : المعاني والبيان والبديع .

ثم عصفت رياح الضعف الأدبي حاملة معها تياراً مغرقاً في الصنعة مولعا بالتفنن والتشعيب في ألوانه الأصيلة فتراكم من ذلك كم هائل من فنون البديع ، منها ما له قيمة في التعبير ، ومنها ما لا وزن له ، ومنها ما تداخل مع غيره فلا يفترقان إلا في الاسم .

ومن جراء ذلك تحول الفن التعبيري الجميل إلى حلية وزخرف شكلي وتلاعب لفظي في سبك متكلف وصنعة معقدة ، وهذا ممّا هوّن من شأن البديع ومنزلته لدى المتأخرين من علماء البلاغة ، وأضعف من قيمته واعتبروه حلية وزينة في الأسلوب ، ولا دخل له في بلاغة الكلام .

وليست قضيتنا هنا أن نتتبع تعريف مصطلح البديع ، أو تاريخ نشأته ، أو خلاف العلماء في قبوله أو رفضه ، أو الجدل الذي دار حوله بالنسبة لمباحثه المتداخلة مع علمي المعاني والبيان حتى غدا حصرها واستيعابها أمرًا صعبًا يحتاج إلى جهد شاق .

إنما قضيتنا هنا الكشف عن جمال هذا الفن في الشواهد القرآنية الكريمة ، والوقوف على دلالاته البلاغية ، ووظيفته الجمالية . نقوم بتحليلها وشرحها والكشف عن سرّ بلاغتها ، وبيان أثرها في المعنى وقيمتها في الأسلوب . "ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة علوم البلاغة ومحاسن البديع ، فعن طريقها يعرف

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ، وصحة نبوة رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالدليل والبرهان " [١] .

ومما حداني إلى هذه الدراسة وساقني إليها هي إلحاح الشيخ عبد القاهر الجرجاني على (أين المزية) أملاً في أن أقف على الأساليب القرآنية المذهلة ، وأكشف عن شيء من ملامح الجمال التي أسهم البديع في صياغتها وتجليتها بشكل لافتٍ وفريد ، ولئن كانت هذه المهمة السامية الشريفة الباعث الأساس لهذه الدراسة فإن ثمة بواعث أخرى أسهمت في استثارة همتي لارتياد هذا البحث : منها الثراء البلاغي – لعلوم البلاغة وخاصة علم البديع – اللافت الذي تضمنه القرآن العظيم ، والذي جاء عفو الخاطر ، فلم يكن عن صنعة وتكلف . ولإيقاني بأن فنّ البديع ليس مجرد زينة لفظية أو حلية ، بل هو وسيلة بلاغية أصيلة كبرى في تجلية الدلالة وإثراء الصياغة حين يحسن سياقه ، ويستدعيه المقام .

وقبل الشروع في دراسة هذا الموضوع ينبغي أن نشير إلى أن **مشكلة الدراسة** تكمن في عدم فهم وظيفة هذا الفن ودلالاته الجمالية وأثرها في النص أو العمل الأدبي ، ولذا سوف نستخدم – هنا – المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي .

وتكمن **أهمية الدراسة** في وصل علم البديع بالبلاغة لا بوصفه تابعًا أو ذيلاً أو حلية ، أو شيئًا خارجيًا مضافًا إلى جمال سابق ، بل بوصفه شيئًا أصيلًا جوهريًا في العملية الإبداعية ربما توقف عليها الإبداع .

وتهدف الدراسة إلى إبراز أهمية علم البديع في دراسة الشواهد القرآنية ، وبيان وظيفته الذاتية الأصيلة ليس هذا فحسب ، بل والمساهمة في إثراء المكتبات العربية بدراسات تعنى بالبلاغة القرآنية وبيان وظيفتها الجمالية .

ومما لا شك فيه فإن من **الصعوبات** التي واجهت الدراسة قلّة الدراسات التطبيقية المنهجية التي تضيء نصوص القرآن شكلاً ودلالة وموضوعًا وجمالًا ، ولا سيما عند الدراسة الوظيفية للفن البديعي . ومع أن عددًا من الباحثين لهم

(١) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع لصفي الدين الحلي ، ٥١-٥٢، نسيب نشاوي ، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

جهود طيبة في خدمة علم البديع إلاّ أن مصنفاتهم الكثيرة – على أهميتها – جاءت عامة مكتسية ثوب الشمول والجانب النظري ، غير متخصصة في الدراسة التطبيقية الجمالية ، وإن كان فيها من لمحات جمالية فإنما تأتي هذه الجمالية عرضاً ضمن مجموعة من الأساليب البيانية التي تحتاج مثل غيرها إلى وقفات وتأملات ، وعلى الرغم من ذلك إلا أن دراساتهم كانت منارات شامخة ، وكثيراً ما اهتديت بها .

ومن تلك الدراسات :

ولن أستعرض تلك الكتب التي عرضت لعلم البديع ، فانصبت عنايتها على التعريفات والتقسيمات والاستشهاد بالشواهد لكل فنّ ، دون أن تقف وقفة تحليل أو تعليق ، بل اتسمت تلك الدراسات بالتقسيمات والتفريعات والجفاف والتدثر بعباءة المنطق . مثل كتاب : الإيضاح للخطيب ، والمطول للتفتازاني وعروس الأفراح للسبكي ، والطراز للعلوي ، ونهاية الإيجاز للرازي ، وبغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي ، وعلم البديع لعبد العزيز عتيق ، والبديع في القرآن لإبراهيم علان وغير ذلك .

وهناك دراسات عرضت لفن البديع ، لكنها لم تحصر دراستها على الجانب التأثيري الوظيفي الجمالي مثل ذلك : رسالة الماجستير للطالبة ياسمين أحمد بعنوان الألوان البديعية في السور المدنية دراسة وصفية تحليلية قدمت لكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة في (١٦١ صفحة) ولم تتعرض لدراسة البديع بين العرضية والذاتية .

والثانية : بحث بعنوان علم البديع عند أبي حيان في تفسيره البحر المحيط ، في (٤٨صفحة) لمحمد طه فياض ، قسم البديع إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية ، وركز في دراسته على الشواهد فقط ، يعرض اسم الفن البديعي في الشاهد ، ثم يعطي تعريفاً له وهكذا ، دون تحليل لهذه الشواهد ، أو الوقوف عليها .

والثالثة : بلاغة البديع في جزء عمّ لعمر بن عبد العزيز ، في كتاب مطبوع ، طبعة جامعة الإمام في ٥٥٠صفحة ، اهتمت بصور التناسب المعنوي وصور التناسب اللفظي في جزء عم ، وصور التأكيد بفنون البديع ، ووظيفة

البديع في جزء عم ، وعدّد الباحث هذه الوظائف ، وحصرها في : التدليل والتعميم والتفسير والإيقاع . وهي دراسة جيدة ، وكثيراً ما عُدت إليها ، واستفدت منها .

أما دراستي هذه ، فجاءت دراسة منهجية متخصصة في هذه الجزئية وُسِمت بعنوان القضية . و**أما بناء الدراسة** فقائم على تمهيد ومبحث رئيس يسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة ، قدّمت في التمهيد تعريفاً لعلم البديع وأفصحت فيه عن وجهة النظر حول التعريف الذي استقر عليه مصطلح البديع عند الخطيب ، ثم كشفت الدراسة النقاب عن تطوّر فنّ البديع إلى أن استقر عليه المصطلح عند الخطيب القزويني ، وتناولت الدراسة الحديث عن قضية البديع بين الذاتية والعرضية ، وتلا ذلك المبحث الرئيسي – الدراسة التحليلية . وتمخضت الدراسة عن خاتمة أجملت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها . وإني أضرعُ إلى الله تعالى أن يفتح عليّ بابَ القبول ، وألاّ يجعلَ هذه الدراسة نسخًا واجترارًا .

التمهيد

البديع : لغة :

قال ابن فارس : " الباء والدال والعين أصلان : أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكَلال " [١] . والبديع لغة مأخوذ من قولهم : بدع الشيء يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدعه أنشأه وبدأه ، وبدع الركية استنبطها وأحدثها ، والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولاً [٢] . وتكاد تجمع المعاجم العربية على أن المعنى العام لكلمة (بديع) يعني المحدث الغريب العجيب ، أو المخترع الجديد .

وفي الاصطلاح البلاغي :

مما لا شك فيه أن المعنى الاصطلاحي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعنى اللغوي ، والبديع في اللغة يعني المخترع الجديد ، أو المحدث العجيب ، وعرفه الخطيب القزويني بأنه " علمٌ يُعرفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ووضوح الدلالة على المعنى المراد " [٣] .

وفي ضوء هذا التعريف نرى أن الخطيب ومَنْ لَفّ لفّه ينظرون إلى علم البديع على أنه فضلة يمكن الاستغناء عنه .

ويقول في موضع آخر مبينًا مراتب البلاغة : " واعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ، ولا إلى الفصاحة ، تورث الكلام حسناً

---

(١) مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ١/ ٢٠٩. دار الفكر ، بيروت . وينظر : كتاب العين ، للخليل بن أحمد ، ٦٠، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د. ط)، (د. ت) .

(٢) ينظر : كتاب العين ٦٠. أساس البلاغة ، للزمخشري ، ٣٢، دار الفكر ،(د. ط)، ١٣٩٩هـ . ولسان العرب ، لابن منظور ، ٨/ ٦، دار صادر ، بيروت ، (د. ت) .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، شرح وتعليق : د . محمد عبد المنعم خفاجي ، ٦/ ٤ ط٣، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م . والتلخيص في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، شرح : عبدالرحمن البرقوقي ، ٣٤٧، دار الكتاب العربي ، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م .

وقبولا " [١] – يعني وجوه البديع . وبهذا أخرج فنون البديع من تعريف البلاغة إذ عدّها غير راجعة إلى مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة .

وأكد على هذا مرة ثانية حين بَيّن أن بلاغة الكلام مرجعُها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، فالذي يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى هو علم المعاني ، والذي يحترز به عن غير الفصيح بسبب التعقيد المعنوي هو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع [٢] .

وفي موضع آخر يقول : " والبلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، والثاني أعني التمييز منه ما يتبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي ، وما يحترز به عن الأول أعني التعقيد المعنوي وهو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته ، وهو علم البديع " [٣] .

ويعلق التفتازاني على تعريف الخطيب بقوله : فقوله بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة تنبيه على أن هذه الوجوه إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين [٤] . يقصد علمي المعاني والبيان .

ويحمّل أحمد موسى الخطيب تبعة إخراج البديع من الخصائص البلاغية بقوله : " فكان أولَّ الجانين على ألوان البديع ممن ألفوا في البلاغة بوضعها الوضع الشائن البغيض .. كيف قضى على ألوانه بأن تكون حلي مزينة ، تكسو الكلام بهجة بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، وأنها عرضية ليست بالذاتية " [٥] .

---

(١) الإيضاح ١/ ٤٨.

(٢) ينظر : الإيضاح ١/ ٤٩-٥٠.

(٣) الإيضاح ١/ ٤٩-٥٠. والتلخيص ٣٦.

(٤) ينظر : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، للتفتازاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ٦٤٠، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

(٥) الصبغ البديعي في اللغة العربية ، أحمد موسى ، ٣٠٤دار الكتاب العربي للنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

ومما سبق رأينا من يُنحي فنَّ البديع عن فنون البلاغة ، إذ جعله تابعًا لعلمي المعاني والبيان ، لا يقصد لذاته ولا يؤم لنفسه ، وبهذا يكون قليل الجدوى في البحث عن القيمة في العمل الأدبي ؛ لأنه يقف عند حدود التحسين والتزيين ، وأن وظيفته مقصورة على الطلاء والزخرفة والتبعية ، وهذا يجعلنا نقف مبهوتين ومتسائلين ؛ عن دور البديع الجوهري ووظيفته الفنيّة والقِيَميّة الفاعلة في النص ، هل تكمن وظيفته الأصيلة في الذاتية ، أم في العرضية ؟ !!

هل علم البديع ذاتي أم عرضي ؟

ظلّت فنون البلاغة منذ أن كتب فيها العلماء وألفت المؤلفات وحتى عصر الزمخشري لا تعرف تقسيمًا ولا تمييزًا ، فكانت تدرس الفنون كلها على أن حسنها حسنٌ ذاتي يقتضيه المقام ويستدعيه الكلام .

ولم يكن البديع في أيام عبد القاهر الجرجاني من حيث استقلالُه عن (المعاني والبيان) كما انتهى إليه حاله أيام السكاكي والقزويني ؛ إذ كان يشمل البديع عند عبد القاهر ومَن سبقه أبواب البلاغة كلها ، فالاستعارة مثلاً أول فنون البديع عند ابن المعتز [١] ، وهي كذلك عند أبي هلال العسكري [٢] ، والكناية من البديع عند أبي هلال [٣] .

ولذلك كان عبد القاهر رائد البحث البلاغي متحررًا من أيّ نزعة نحو التصنيف الثلاثي أو التقعيد التراتبي لفنون البلاغة كلها . بل إنه لم يكن يجعل فنون البديع إلا صورًا من البلاغة ، ولهذا فإنه يسلك المزاوجة والعكس والتقسيم والسجع والاستعارة والتشبيه في عقد النظم ، ويجعلها من الذي يتحد في الوضع ويدق في الصنع ، بل إنه ليمتدحه بأنه النمط العالي والباب الأعظم ، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه[٤] . وعلى هذا يكون الحسن في

---

(١) ينظر : كتاب البديع ، لابن المعتز ، ١٥، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١.

(٢) ينظر : كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، ٢٩٥، تح : مفيد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

(٣) ينظر : كتاب الصناعتين ٤٠٧.

(٤) ينظر : دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر ، تعليق : محمود شاكر ، ٦٦ ، ط٣، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

الألوان البديعية عنده عندما تكون تابعة للمعنى – أي حسنها ذاتي وليس عرضيًا – .

ويقول أيضًا : " وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع لا شبهة أن الحُسْنَ والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب " (١) .

ولم يخالف عبد القاهر أسلافه في ذلك ، لكننا إذا نظرنا فيما كتبه من جهة أخرى – عن السجع والجناس فإننا نرى حديثًا يختلف عمّا كتبه أسلافه ؛ إذ جُلّ ما كتبه هؤلاء يتصل ببيان الحدود والاستشهاد بالأبيات الكثيرة بعد ذلك ، ومحاوله الوقوف على أنواع جديدة من البديع ، أما عبد القاهر فقد صرف حديثه إلى بيان أسباب المزية في الجناس والسجع والجمع والتقسيم والمزاوجة كيف تأتي للناظم ، وفي أي شيء تكمن . فهو يرى أن المحسن البديعي يساعد على فضيلة الكلام حين لا يكون متكلفاً خالياً من الفائدة ، ولا يقصد به غير الزخرفة والزينة ، فإذا أتى عفو الخاطر ، أو طلبه المعنى واستدعاه كان في غاية الحسن والجمال.

لذلك يقول : " فقد تبين لك أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحق ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن " (٢) .

ويقول أيضًا : " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا ، ولا سجعًا حسنًا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساقك نحوه ، وحتى تجده لا تبتغي به بدلًا ، ولا تجد عنه حولا ، ومن هنا كان أحلى تجنيسٍ تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملاءمته " (٣) .

---

(١) أسرار البلاغة ، لعبد القاهر ، تعليق : محمود شاكر ، ٢٠، ط١ ، دار المدني ، جدة ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م .

(٢) أسرار البلاغة ١٢.

(٣) أسرار البلاغة ١٥.

ولم يكثر من ألوان البديع التي كانت شائعة عند السابقين ، وإنما ذكر بعضها ليصل إلى فكرة أن الحسن للمعنى – المعنى المصور – وليس غرضه سرد هذه الأنواع وحصرها [١] .

وهكذا بقي عالقاً بعلمي المعاني والبيان ، حتى عصر السكاكي الذي لم يستطع أن يفرد له باباً خاصاً كما فعل شراح المفتاح بعده ، بل جعله تابعاً لعلمي المعاني والبيان لقصد تحسين الكلام . ثم قسم هذه الوجوه إلى قسمين : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ ، وجاء بدر الدين بن مالك فأطلق على تلك الوجوه علم البديع ، وبهذا صارت البلاغة ثلاثة علوم ، ولما جاء الخطيب ولخص المفتاح فصل البديع فصلاً كاملاً عن أخويه البيان والمعاني ، أما البديع فصار علم تحسين وتزيين وحلية يمكن طرحها والاستغناء عنها [٢] .

لقد " استهان الدارسون – المتأخرون – بعلم البديع ، واعتبروه ذيلاً من ذيول البلاغة ، وذَنَبًا من أذنابها أو طلاءً وعرضًا يعيش على هامش البلاغة دون أن يتعدى السطح ، فيَصَل إلى الصميم ، لا يُقصد لذاته ، ولا يُؤم لنفسه ، ولا يعود على الأسلوب بالتحسين الذاتي ، بل هو التابع الزنيم واللاحق الذليل الذي لا يلقى من الإكبار والإجلال ما يلقاه الذاتي الأصيل .

ولا غرو فهذه طعنة نجلاء صوّبها المتأخرون من علماء البلاغة إلى البديع ... ولكي نعمل على إنصاف البديع من جور المتأخرين .. لابد من وضعه في مكانه اللائق به من البلاغة والاقتصاص له .. " [٣] بأن يكون لذاته الأصيل .

---

(١) ينظر : دراسات في البلاغة العربية ١٥٧. عبد العاطي علام ، ط١، منشورات قان يونس ، بنغازي ١٩٩٧م . والبلاغة العربية تاريخها مصادرها مناهجها ، علي عشري ، ٩٧، مكتبة الآداب ط٧، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م . وأساليب البديع في البلاغة العربية – رؤية معاصرة ، شفيع السيد ، ٢٢، ط١، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

(٢) ينظر : الصبغ البديعي ٤٦٩.

(٣) الصبغ البديعي ، ٤٧٠. والبلاغة التطبيقية ، أحمد موسى ، ٢٧٥-٢٧٦، طبعة المعرفة ، (د . ط) ، (د . ت) .

=

وفي ضوء هذا المنهج السقيم وذاك ؛ يمكننا القول بأن هذه النظرة إلى فنون البديع على أنها مجردٌ محسناتٌ حسنُها عرضي يأتي بعد تمام المطابقة ووضوح الدلالة نظرةٌ غيرُ سديدةٍ ، ولا تتمشى مع نظرة المتقدمين الذين جعلوا الحسن في تلك الفنون حسنًا ذاتيًا يقتضيه المقام ويدعو إليه الحال [١] .

ولذا وجدنا غير واحد من المتأخرين المنصفين يخالف الخطيب معلنًا أن تحسين البديع (تحسين ذاتي) وليس عرضيًا ، بل هو كصنويه المعاني والبيان في أن بلاغته ذاتية لا عرضية ، ومن هؤلاء بهاء الدين السبكي وأبو جعفر الغرناطي [٢] . والشيخ أحمد موسى .

ويعلّق بهاء الدين السبكي على تعريف الخطيب القزويني في تعريف البديع : " والحقُ الذي لا يُنازع فيه منصف أن البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وأن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، ومن الإيراد بطرق مختلفة ، ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين ، وأدلُّ برهان على ذلك أنك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان يتعرضون إلى اشتمال شيء منها على التطبيق ، ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والإيراد ، بل تجد كثيرًا منها خاليًا عن التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طُرق علم البيان ، هذا هو الإنصاف وإن كان مخالفًا لكلام الأكثرين "[٣].

ومنهم أبو جعفر الغرناطي الذي مضى على هذا النهج يقول في تعريف البلاغة بأنها " بلوغ المتكلم في تأدية المقصود الغاية من رعاية حسن اللفظ وتوفية

=

والبلاغة والتطبيق .أحمد مطلوب ص ٤١٨، ط١، وزارة التعليم العالي ، العراق ، ١٩٨٢م .

(١) ينظر : علم البديع دراسة تاريخية وفنية ، بسيوني فيود ، ١١٤.مؤسسة المختار ط٢، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م .

(٢) ينظر : الصبغ البديعي ٤٧٠.

(٣) شروح التلخيص – عروس الأفراح ، للسبكي ، ٤/ ٢٨٣-٢٨٤، ط١، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣١٨هـ .

المعنى بحسب اقتضاء المقام " ، ثم نراه يجعلها راجعة إلى ثلاثة أشياء : ما يحترز به عن الخطأ في خواص التراكيب وهو علم المعاني ، وفي طرق دلالتها وهو علم البيان ، وفي وجوه تحسينها وهو علم البديع ، فالبلاغة لا تحصل إلا لمن استكمل العلوم الثلاثة (١) .

ويعتبر الطيبي وهو من الأعلام المتأخرين البديع أصلاً من أصول البلاغة يتعالق مع صنويه تعالق النّد بالنّد ويقف على قدم المساواة مع أخويه المعاني والبيان ، حيث جعل مرجع البلاغة إلى الاحتراز عن الخطأ في خواص التركيب ، وفي طرق دلالتها وفي التحسين ، ثم بيّن أن ما يُحترز به عن الأول علم المعاني ، وعن الثاني علم البيان ، وعن الثالث علم البديع (٢) .

وقد أدرك العلوي قيمة البديع وبيّن منزلته بين العلوم البلاغية فجعله رحيق علمي المعاني والبيان الذي تتركز فيه حلاوته ويتجمع فيه السكر ، فهو خلاصة الخلاصة وصفو الصفو (٣) .

ويقول أحمد موسى : " إن تعريف بلاغة الكلام الذي ذكره الخطيب بقوله : " هي مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته شامل لهذه الأصباغ مع التوسع في مفهوم الحال بجعله أعم مما ذكروه حتى ينطبق على أحوال البديع فإذا اقتضى الحال طباقاً أو تقسيماً أو مزاوجة أو غير ذلك كان الكلام المشتمل عليها مطابقاً لمقتضى الحال ، وخلوه منها غير مطابق فيكون في الأول بليغاً وفي الثاني على خلافه ، وذلك أمر تقره الفطرة ، ويساعد عليه ما سردناه من شواهد " (٤) .

وممن عرض لهذه القضية من المعاصرين بكري شيخ أمين ، الذي عرض رأيه في موقف الخطيب ، ففي أثناء دراسته لبعض فنون البديع مثل: المبالغة

---

(١) ينظر : طراز الحلة وشفاء الغلة ، أبو جعفر الغرناطي ، ص ٨٩، تح : رجاء السيد ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د . ط ، د .ت .

(٢) ينظر : التبيان في علم المعاني والبديع . والبيان للطيبي ، تحقيق : هادي الهلالي ، ٤٧، ط١، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧.

(٣) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، للعلوي ،٥٦٠، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م

(٤) الصبغ البديعي ، ٥٠٧.

والطباق والمقابلة ومراعاة النظير [١] يرى أن النظرة إلى هذه الفنون على أنها بمثابة الزينة والكماليات والنوافل في القول ، وليست عناصر أساسية في البلاغة هي ظلم له واستهانة بها ، ويقرر أصالتها في مكونات البلاغة ، وأساسيتها في التعبير الفني الرفيع [٢] .

وممن عرض لهذه القضية أيضاً الدكتور عبد الحميد العبيسي في كتابه " البلاغة ذوق ومنهج " يقول منتقدًا منهج الخطيب الذي حصر مهمة المحسنات البديعية في تزيين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة : " وصنيع الخطيب هذا فيه جناية كبيرة وخسارة جسيمة على تلك الوجوه البديعية ، فلقد هوى بتلك الوجوه من عليائها واعتبرها زخرفاً زائداً ووضعها في منزلة الذنب لفني المعاني والبيان مما كان له أثره في الهبوط بمستوى اللغة الأدبية بعامة " [٣] .

وخلاصة القول أن خير دراسة لعلوم البلاغة الثلاثة هي دراسة مباحثها مجتمعة ومتداخلة في إطار واحد دراسة تحليلية تقوم على نظرية النظم ، معيارها الذوق البلاغي السليم ، ووظيفتها الوظيفة التأثيرية ، وتلك هي الدراسة الأصيلة التي سار عليها عبد القاهر الجرجاني ومَن سبقه كالجاحظ وابن المعتز والرّماني ، ومَن جاء بعده كالزمخشري وابن أبي الإصبع .

والقرآن الكريم مملوءٌ بفنون البديع ، وما دام أنها وجدت في القرآن الكريم فضلاً عن الحديث الشريف والأدب الجاهلي بشعره ونثره ، فإن الحال يقتضيها والمقام يطلبها ، كما في علمي المعاني والبيان ، فإذا حكمنا على هذه الفنون البديعية بالعرضية فإن هذا يعني اشتمال النظم القرآني على حلى عرضية وهذا الاتهام تدحضه البلاغة القرآنية العالية [٤].

---

(١) ينظر : البلاغة في ثوبها الجديد (علم البديع) بكري شيخ أمين ، ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م . الصفحات (٤٠-٤١، ٥٣-٦٤، ٧٦)

(٢) ينظر : البلاغة في ثوبها الجديد : ٤١-٨٠.

(٣) البلاغة ذوق ومنهج ، عبد الحميد العبيسي ، ٤٨٥، ط١، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٤) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع ، للشحات أحمد أبو ستيت ، ص : ٢٦٣، ط١، دار خفاجي ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م . وينظر : بلاغة البديع في جزء عمّ ، =

وأما تقسيم المحسنات البديعية إلى محسنات معنوية ومحسنات لفظية

فهو تقسيم صوري منطقي بعيد عن الذوق والفن ، لا تتعدى فائدته ضبط الألوان وتقنينها ، تقسيم غير دقيق تتداخل فيه فنون البديع بعضها في بعض [١] . وهو تقسيم لا أساس له فقد أبطله عبد القاهر ، واحتاط له السكاكي أبلغ احتياط وأتمه، حيث قال بعد سوق الأنواع اللفظية : " وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني لا أن تكون المعاني لها توابع ، أعني أن لا تكون متكلفة " [٢] . ومتى كانت الألفاظ تابعةً للمعاني كانت المعاني هي الهدف المروم والغرض المقصود . وينفي د . بدوي طبانة دقة هذا التقسيم فيقول : " إن هذا التقسيم غير دقيق، لأن أكثر هذه المحسنات متداخل بعضها في بعض " [٣] . ومن الذين رفضوا تقسيم البديع إلى محسنات لفظية ومعنوية د : سعد أبو الرضا حيث يرى أنها " قسمة منطقية بعيدة عن الفن والذوق " [٤] .

وعرّف المتقدمون البلاغة : بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، فاشترطوا في الكلام البليغ حسن اللفظ ، وجمال الصورة بجانب إيصال المعنى إلى قلب السامع وأصلها الطبع [٥] . وقد جعل الرماني البلاغة في

=

عمر عبد العزيز محمود ، ص ٢٤، جامعة الامام – الرياض ، ١٤٣٣هـ . والنظم القرآني في آيات الجهاد ، ناصر الخنين ، ص ٥٠٤.، ط١، ، مكتبة التوبة بالرياض ١٤٣٦هـ .

(١) ينظر : أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ، بدوي طبانة ، مطبعة الرسالة ، ط٢، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، ص ٢٢٧. والصبغ البديعي ٥٠٨. والبلاغة عند السكاكي أحمد مطلوب ١٥٠–١٥٢. مطبعة دار التضامن ط١، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤. ودراسات منهجية في علم البديع للشحات ٢٨.

(٢) مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ٢٠٤، ط١، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م .

(٣) أبو هلال العسكري ومقاييسه النقدية ص ٢٢٧.

(٤) في البنية والدلالة سعد أبو الرضا ، نشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ص ٣٢.

(٥) ينظر : النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ٧٥–٧٦. ضمن ثلاث رسائل في =

عشرة أقسام : الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان [١] . ونلحظ في هذه الأقسام أن منها ما يدخل في علم البيان ، ومنها ما يدخل في علم البديع عند المتأخرين ، ومقاييس المتقدمين أصلٌ في هذا ينبغي الاعتماد عليه وعدم التفريط .

ونجد عبد القاهر قد سلك المزاوجة والتقسيم والتشبيه المتعدد في سلك واحد حين جعلها من النظم العالي الذي يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع[٢] . فهو لا يفرق في النظم بين لون بديعي ولون بياني طالما أن كلاً منهما يزيد من حسن النظم ، ويرفع من شأنه ، ويعلي من قيمته . وفي كتاب الدلائل نجده يخلط بين أبواب المعاني والبيان ويجعلهما متشابكين تماماً دون فصل .

وخالفهم في هذا د . محمد علي سلطاني ، ورأى أن هذا التقسيم ينسجم مع طبيعة الأثر الأدبي الذي يتكون من عنصرين أساسيين هما : المعنى واللفظ على أن ننظر إليهما باعتبارهما قسمين متآزرين متلازمين في نقل المعنى وتصوير الشعور ، فالواقع أن كلا منهما ملازم للآخر ، والكلام عليهما منفصلين ليس سوى افتراض نظري لغاية تعليمية [٣] .

وخير دليل على فساد هذا التقسيم أن مباحث هذه العلوم ليست متمايزة بدليل أن بعض المؤلفين ومنهم السكاكي أدخل المجاز العقلي في علم البيان ،

=

إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ، محمد زغلول ، ط٤، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت) . والصناعتين ١٩. والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ١/ ٢١٢. ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

(١) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ، ٦٩–٧٠.

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز ٩٣.

(٣) ينظر : البلاغة العربية في فنونها ، محمد علي سلطاني ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ص: ٢١–٢٢. ومحاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين، يحيي محمد عطيف،٣٣٥–٣٣٦. ط١، نادي أبها الأدبي ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

بينما جعله الخطيب في علم المعاني ، كذلك نجد جماعة أدخلوا التذييل والاحتراس والحشو في البديع ، بينما جعلها غيرهم من علم المعاني ، وجعلوها أقساماً للإطناب ، كما نجد بعضهم يجعل الالتفات ضمن مباحث علم المعاني كالقزويني ، بينما نجد السيوطي يجعله من مباحث علم البديع [١] .

وسيكون عمادنا – بإذن الله – في دراسة الفنون البديعية وشواهدها وبيان وظيفتها الذاتية وأثرها الجمالي في النظم القرآني الكريم ، وإبطال فكرة البديع العرضية قضية المقام ومراعاة الحال واستدعاء السياق ، راجعين بكل فنّ من فنونه إلى موطنه من علمي البلاغة المعاني والبيان . وإن أول ما نبدأ به في هذه الدراسة :

(١) ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسيوطي ، تحقيق : علي البجاوي ، ١/ ٣٧٧. دار الفكر العربي ، (د.ط) ، (د. ت) . ودراسات في البلاغة العربية ١٦٠.

المبحث الرئيسي – الدراسة التحليلية

١: الطباق والمقابلة [١] :

الطباق : قال ابن فارس : الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد ، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه [٢] ، والطباق في اللغة الموافقة ، والتطابق الاتفاق ، يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألزقتهما [٣] .

وهو في اصطلاح البلاغيين : الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة [٤] . وليس المراد بالمتضادين ههنا الأمرين الوجوديين المتواردين على محل واحد ، بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض ، " بل أعم من ذلك ، وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة ، وفي بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً .. " [٥] .

ويكمن العنصر الجمالي في الطباق فيما يُحدثه من ربط الكلام بعضه ببعض عن طريق علاقة التضاد ، وبما يحدثه من تأثير نفسي ناتج عن ما فيه من تلاؤم بين المختلفات في الأذهان ، وما يعكسه سلبًا أو إيجابًا على الجوارح والأعمال باعتبار أن الجمع بين المختلفات أقرب تخاطرًا في الذهن من المؤتلفات وأكثر تأثيرًا منه [٦] وحسن الطباق يتوقف على ثلاثة أمور : " عدم الإسراف فيه

---

(١) سنقوم بإذن الله بدراستهما في مبحث واحد . لماً لشتات الفن البديعي ، وبعداً عن كثرة التقسيمات التي أثقلت كاهل البديع ، واتباعاً لبعض آراء العلماء في الجمع بينهما كابن الأثير والعلوي والسيوطي والخطيب القزويني وابن عاشور .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ٣/ ٤٣٩. دار الفكر للنشر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٣) ينظر : كتاب العين للخليل ٥٦١. وأساس البلاغة ص : ٣٨٤. ولسان العرب مادة (طبق) ١٠/ ٢٠٩.

(٤) الإيضاح ٦/ ٧. والتلخيص ٣٤٨.

(٥) المطول : ٦٤١.

(٦) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة ،٢/ ٣٧٨ ، ط٣، دار القلم ، دمشق ٢٠١٠م .

=

. وتناسب المعاني بالتضاد . وتناسب المعاني بالتقارب " [١] .

ويرى عبد القاهر : أن التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة ، من غير أن يكون في ذلك للألفاظ نصيب ، أو يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين تصعيد أو تصويب " [٢] . ولن نستعرض هنا تقسيمات الطباق المتعددة ، فقد بحثت كثيرا في مظان دراستها ، وإنما ينصب البحث هنا على دراسة النماذج القرآنية ، وإبراز دلالتها الذاتية ووظيفتها الجمالية

والمقابلة : قال ابن فارس : " القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلمُه كلُّها على مواجهة الشيء للشيء ، ويتفرع بعد ذلك " [٣] . والمقابلة : المواجهة ، مصدر قابل الشيء بالشيء يقابله مقابلة وقبالاً ، إذا عارضه وواجهه وصار ماثلاً أمامه [٤] .

والمقابلة في الاصطلاح : " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ، ثم بما يقابلهما ، أو يقابلها على الترتيب " [٥] . وفي قوله : " على الترتيب " . فيه نظر ، وسوف يأتي بيان ذلك .

وهناك من يدخل المقابلة في الطباق ، وليس باباً مستقلاً كابن الأثير يقول : " واعلم أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة "[٦]. والسيوطي

=

والبلاغة الاصطلاحية ، عبد العزيز قلقيلة ، ٢٩٥، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د. ط ، د. ت . وبلاغة البديع في جزء عم ١٥٤.

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم المطعني ٢/ ٤٢٠، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .

(٢) أسرار البلاغة ص : ٢٠.

(٣) ينظر :مقاييس اللغة ٥/ ٥١ .

(٤) ينظر : العين ٧٦٦. وأساس البلاغة ٤٩٠. لسان العرب ، مادة (قبل) ١١/ ٥٤٠.

٥) الإيضاح ٦/ ١٦. والتلخيص ٣٥٢.

(٦) ينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ضياء الدين ابن الاثير ، تح مصطفى جواد وجميل سعيد ، ص : ٢١٢، بغداد ١٣٧٥هـ .

يقول : " ومنه نوع يسمى المقابلة .. " [١] ، وكذا عند الخطيب القزويني يقول : " ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة " [٢] .

ومهما يكن من أمر فإن المقابلة قريبة من الطباق ، إن لم يكن صورة من صورها ، فهي تتفق معه في أسرار حُسْنِه وبواعثَ جماله ، وهو مطلق التضاد والتقابل الذي يمكّن المعاني من الأذهان ويقرّرها في الأفئدة [٣] ، ولماً لشتات التفريق الذي أثقل كاهل البديع سندرسهما في مبحث واحد .

*** تأمل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ الآية استئناف في سياق تبْيين حقيقة قوية ضخمة ، حقيقة أن لا كينونة لشيء إلا لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وكل مقومات الكينونة ثابتة له دون سواه ، ملكه دائم في عموم الأزمان ، وتصرفه فيهما تصرف في كل الأحوال . ووصفه بـ (الأول) دلالة على أنه ليس لوجوده بداية مفتتحة ، ويستلزم ذلك انفراده تعالى بصفة الوجود ، فهو موجده ومحدثه ، ولأنه لو كان غير الله واجبًا وجوده لما كان الله موصوفًا بالأوّلية ، فالموجودات غير الله ممكنة ، والممكن لا يتصف بالأولية المطلقة ، فلذلك تثبت له الوحدانية . و (الآخر) ضد الأول ، وهو الدائم الذي ليس له نهاية منقضية . و (الظاهر) العالي الغالب على كل شيء ، أو الظاهر وجوده بالأدلة الواضحة وهو المناسب للطباق لأن المعنى الأول لا يناسب مقابلته بالباطن إلا على اعتبار محسن الإيهام .

و(الباطن) لكونه غير مدرك بالحواس [٤] . " ووصف الله بأنه (الآخر) بعد بعد وصفه بأنه (الأول) مع كون الوصفين متضادين يقتضي انفكاك جهة الأولية

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، ٣/ ٢٨٥، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٢) الإيضاح ٦/ ١٦. والتلخيص ٣٥٢.

(٣) ينظر : روح البلاغة – البديع ، فتحي فريد ، ص : ٤٢، ط١، ١٣٩٨م .

(٤) ينظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون وآخرون ، ٨/ ٢١٦، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م . وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن عيسي =

والآخروية ، فلما تقرر أن كونه الأول متعلق بوجود الموجودات اقتضى أن يكون وصفه بـ (الآخر) متعلقًا بانتقال ذلك الوجود ، أي هو الآخر بعد جميع الموجودات في السماء والأرض " [١] .

والطباق هنا بين هذه الصفات المباركة (الأول والآخر ، الظاهر والباطن) يُبَيّن اتصافه سبحانه وتعالى بهذه الصفات المتضادة في آنٍ واحدٍ في جميع الأوقات والظهور والخفاء ، ممّا يدلُ على مخالفته تعالى للمخلوقات ، وإظهار كمال سلطانه وقدرته ، وفي هذا تنبيه أيضًا على عظم شأن الله تعالى . والذي رشح هذا المعنى وصوّره أكمل تصوير إنما هو ذلك – الطباق – اللون البديعي الذاتي الأصيل . وكذا ما أحدثته الواوات من ترابط واتحاد وجمعية بين الصفات الأربع .

يقول الزمخشري : " الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية ، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء ، وأما الوسطى – يقصد عطف المركب على المركب – فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين ، المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس " [٢] .

=

الشوكاني ، ٤/ ٢٢٩، ط٤، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م . وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للقاضي أبي السعود ، ٦/ ١٩٩، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م . وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين الألوسي ، ٩/ ١٦٦، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م . والتحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، ٢٧/ ٣٦٠، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٦١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل ، للزمخشري ، ٤/ ٣٣٠، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م . وينظر : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، للطيبي ١٥/ ٢٠٣. ط١، مصرف دبي الإسلامي ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .

***ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[فاطر ١٩-٢٢] في الآيات الكريمة طباق بين الأعمى والبصير ، وبين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الأحياء والأموات ، وقد وردت هذه الحقائق في سياق المطابقة التي أظهرتها واضحة جلية ، وهيأت للعقول أن تقارن بينها ، فلا تملك إلا أن تسلم بعدم تساويها ، ومن ثم تنشط في اختيار النهج السوي والتزامه .

وإذا تأملنا في سياق الآيات نجد أن هذه الآيات جاءت لتيئيس المشركين الذين استولى عليهم الشرك أن يكون عندهم إدراك لما بين هذه الأمور من تفاوتٍ بعيدٍ واختلافٍ شديد ، فلن يستوي عند الله الإيمان والكفر ، والخير والشر ، والهدى والضلال ، كما لا يستوي العمى والبصر ، والظلمة والنور ، والظل والحرور ، والحياة والموت .

ومجيء هذه الأشياء المتطابقة على سبيل الاستعارة والتمثيل وترتيبها الدقيق المنفي عنها في الاستواء كان في غاية الفصاحة ، فذكر الأعمى والبصير مثلاً للمؤمن والكافر ، ثم البصير ولو كان حديد النظر لا يبصر إلا في ضوءٍ ، فذكر ما هو فيه الكافر من ظلمة الكفر ، وما هو فيه المؤمن من نور الإيمان . ثم ذكر مآلهما وهو الظل وهو أن المؤمن بإيمانه في ظلٍ وراحة ، والكافر بكفره في حرٍّ شديد وتعب ، ثم ذكر مثلاً آخرَ في حق المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير ، إذ الأعمى قد يشارك البصير في إدراكٍ ما ، والكافر غير مدرك إدراكاً نافعاً فهو كالميت ، ولذلك أعاد الفعل فقال : (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) كأنه جُعل مقام سؤال .

و (لا) لتأكيد نفي الاستواء ، وتكريرها على الشقين لمزيد تأكيد المنافاة [1] . فالظلمات تنافي النور وتضاده ، والظل والحرور كذلك ، والأعمى والبصير ليس

---

(١) ينظر : الكشاف ٣/ ٥٦١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي ٢/ ٢٧١، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م . وفتوح الغيب ١٢/ ٦٣٧-٦٣٨. واللباب في علوم الكتاب المكنون ، لابن عادل ، تحقيق : =

كذلك ، لأن الشخص الواحد قد يكون بصيراً ثم يعرض له العمى فلا منافاة إلا من حث الوصف .

والمنافاة بين الظل والحرور دائمة ، لأن المراد من الظل عدم الحر والبرد ، فلما كانت المنافاة أتمَّ أكدّ بالتكرار . وأما الأحياء والأموات من حيث إن الجسم الواحد يكون محلًا للحياة فيصير محلًا للموت ، فالمنافاة بينهما أتمّ من المنافاة بين الأعمى والبصير ، لأن هذين قد يشتركان في إدراك ما ، ولا كذلك الحي والميت ، والميت يخالف الحي في الحقيقة لا في الوصف [١] .

وتأمل دقة العطف هنا فإنه نفى الاستواء بين الأعمى والبصير " بعطف أحدهما على الآخر عطف الوتر على الوتر ، ثم عطف عليهما مجموع الضدين وهما الظلمات والنور عطف الشفع على الشفع ، فإذا العطف المذكور يفيد أنهما لا يستويان ، وعطف فيه أحد الضدين على الآخر عطف الوتر على الوتر ، ثم عطف عليهما مجموع الضدين الآخرين وهما الظل والحرور عطف شفع على شفع ، وعطف أحدهما على الآخر عطف وتر على وتر فإذا العطف يفيد عدم استوائهما .

ولا حاجة في إفادة العطف هذا المعنى إلى كلمة (لا) لا بين المعطوف – عطف شفع على شفع وبين المعطوف عليه ، ولا بين المعطوفين عطف وتر على وتر ، وهذا ظاهر لأن العاطف يقوم مقام العامل ، وهو الفعل المنفي ، فإنه لو عطف الشفع على الشفع بأن قيل : والظلمات والنور والظل والحرور لفهم أن الضدين الأولين لا يستويان ، وكذا الضدين الأخيرين ، إلا أنه زيد كلمة (لا) في

=

عادل عبد الموجود وآخرون ، ١٦/ ١٢٤– ١٢٥، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م . حاشية محي الدين شيخ زاده ، ٧/ ٢٤، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م . وجواهر الكنز تلخيص البراعة في أدوات ذوي اليراعة ، لنجم الدين بن الأثير ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، ص : ٨٤، منشأة المعارف ، الاسكندرية، د.ط ، د. ت .

(١) ينظر : التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، ١٣/ ٢٧٦–٢٧٧، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

قولـه : (ولا الظلمـات ولا النـور ولا الظـل ولا الحـرور ومـا يسـتوي الأحيـاء ولا الأموات) أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل " [١] .

" وقدّم الأشرف في مثلين وهو الظل والحرور وأخر في مثلين وهما البصير والنور ، ولا يقال لأجل السجع لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ بل فيه وفي المعنى . وقدّم ما كان متقدما من المتصف بالكفر وطريقته على ما كان متأخرًا من المتصف بالإيمان وطريقته ، ثم لما ذكر المآل والمرجع قدّم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب ، فقدم الظل على الحرور . ثم إن الكافر المصرّ بعد البعثة صار أضلَّ من الأعمى وشابَه الأمواتَ في عدم إدراك الحق ، فقال تعالى : (وما يستوي الأحياء) الذين آمنوا بما أنزل الله ولا (الأموات) الذين تُليت عليهم الآياتُ البيّناتُ ولم ينتفعوا بها ، وهؤلاء كانوا بعد إيمان مَنْ آمَن فأخرهم لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافر . وأفرد الأعمى والبصير لأنه قابل الجنس بالجنس ، وجمعت الظلمات لأن طرق الكفر متعددة ، وأفرد النور لأن التوحيد والحق واحد " [٢] .

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران : ٢٦ – ٢٧] قوله: (اللهم) الأصل يا الله ، فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة ، وهذا خاص بهذا الاسم الشريف، فلا يجوز تعويض الميم من حرف النداء في غيره ، واستدل البصريون على أنها عوض من يا أنهم لم يجمعوا بينهما فلا يقال : يا اللهم إلا في ضرورة كقول الشاعر : وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولي كُلّمَا سَبّحتِ أو هَلّلْتِ يَا اللّهُمَّ [٣] .

---

(١) حاشية زاده ٧/ ٢٤–٢٥. ينظر : في البنية والدلالة ٤٨.

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ٢٧٦–٢٧٨.

(٣) ينظر : الكتاب ، لأبي بشر عمرو سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ٢/ ١٩٦. ط٣، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م . والإنصاف في مسائل الخلاف ، عبد الرحمن الأنباري ١/ ٣٤٣، تحقيق : محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م . والدر المصون في علوم =

قوله : (تؤتي الملك من تشاء) جملة مستأنفة مبينة لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك والتعبير بالإيتاء (تؤتي) إشعار بأن إيتاء الملك تنويلٌ من الله تعالى ، ولو لم يكن من أهله ، والتعبير بنزع الملك للدلالة على سلبه عنهم وبطشه بهم ، ونزع مهابة ملكهم وزواله [١] .

ولم يقل : تُملّك ؛ لأن ما يكون للعبد من الملك إنما هو إعطاء تعالى وتسليطه عليه . ولما ظهر في هذه الآية افتراق في النزع والإيتاء والإعزاز والإذلال أبدى في التالية توالج بعضها في بعض ليؤذن بولوج العز في الذل والذل في العز ، والإيتاء في النزع والنزع في الإيتاء ، وكان من الاشتباه إيلاج العز في الذل وإيلاج الذل في العز فلما صرّح بالأحكام ببيان الطرفين في الكائن القائم الآدمي ، وضمن الخطاب اشتباهه في ذكر العز والذل صرّح به في آية الكون الدائر فذكر آية الآفاق وهو الليل والنهار [٢] ، فسبحان من بيده ملكوت السموات والأرض.

إنّ أولَّ ما يُطالعنا في هذا التركيب اللفظي البديع هذه الثنائيات المتطابقة المتضادة بين الأسماء والأفعال المضارعة (تؤتي وتنزع ، تُعز وتُذل ، الليل والنهار ، تولج وتخرج ، الحي والميت) ، والتي تلعبُ دورًا أساسيًا في بيان الغرض الخفي المسوق إليه الآية ، ألا وهو تصوير القدرة الباهرة في الآفاق والأنفس وفي التصرف في أوسع معانيها ، وبيان السلطان في أشمل مظاهره وأكملها ، وإبراز حقيقة الألوهية الواحدة المطلقة القوّامة على الكون والناس ، وذلك

=

الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقيق : علي معوض وآخرون ، ٢/ ٥٣، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م . والتفسير الكبير ٤/ ٢١٨. والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٢/ ٤٢٤-٤٢٣، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م . ٢/ ٤٢٤-٤٢٣.واللباب لابن عادل ٥/ ١٢٢. وفتوح الغيب ٤/ ٦٦ . وروح المعاني ٢/ ١٠٩. وحاشية زاده ٣/ ٣٧.

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي ، ٢/ ٥٣-٥٤ ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢/ ٥٦.

لا يتم إلا بالجمع بين الضدين ، والحكم بأنه يقدر على الأمرين ، فهو مالك الملك بلا شريك ثم هو من جانبه يُملِّك مَنْ يشاء مِنْ ملكه ، وهو يعز مَنْ يشاء ، ويذل مَنْ يشاء بلا معقب على حكمه ، وبلا مجير عليه ، وبلا راد لقضائه ، فهو صاحب الأمر كله ، وكل هذه القوامة يتولاها بالقسط والعدل .

ثم يَروعك التعبيرُ التصويري الاستعاري لحقيقة التداخل والإيلاج والتعاقب ، إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي ، وهذه الحركة الخفيّة الدبيبة العميقة اللطيفة المتداخلة تشي بيد القادر المبدع اللطيف الخبير المدبر ، سبحانه إنه على كل شيء قدير .

وقد اقترن الطباق بصورة بديعية أخرى وهي العكس والتبديل [١] " تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي " ، كما اقترن بمبالغة التفويف والتكميل [٢] التي تليق بالقدرة الإلهية ويمكننا القول بأن هذا التضافر والانسجام بين الفنون حقق المقصدية وهي بيان قدرة الله تعالى.

قال الزمخشري : " قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما ، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر ، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ، ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده ، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم " [٣] . هكذا يصبح الطباق " جزءًا لا يتجزأ

---

(١) ينظر : كتاب الصناعتين ٣٤٠. والبحر المحيط ٢/ ٤٤٠. وبديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني شرف ، ٩٩-١٠٠، نهضة مصر ٩٩-١٠٠. وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، لابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني شرف ، ٢٦٢، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م ٢٦٢. والإتقان ٣/ ٢٧٧. ومعترك الأقران ١/ ٤٠٦. وخصائص التعبير القرآني ٢/ ٤١٤.

(٢) التفويف : إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح والوصف (بديع القرآن : ٩٩) والتكميل : إضافة صفات المدح وتتابعها (بديع القرآن ١٤٣)

(٣) الكشاف ١/ ٣٢٨.

مـن نسـيج الآيـة ، بحيـث يغـدو مـن المسـتحيل أن يسـتغني التعبيـر عنـه " [١] . وتخصيص الخير بالذكر هنا لأنه المقضي بالذات ، والشر مقضي بالعَرَض ، إذ ما من شر جزئي إلا وهو متضمن لخير كلي . أو لمراعاة الأدب في الخطاب[٢].

وتقـديم (بيـدك) علـى (الخيـر) يـدل علـى الحصـر أي لا خيـر إلا بيـده لا بيد غيره ، فثبت أن جميع الخيرات منه ، وتعريف الخير للتعميم [٣] .

*** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس : ١-١٠] المقصود من هذه السورة إثبات تصرف الخالق سبحانه وتعالى في النفوس التي هي سراج الأبدان تقودها إلى سعادة أو كيد وهوان ، كما أن الشمس سراج الفلك ، يتصرف سبحانه في النفوس بالاختيار إضلالاً وهداية نعيماً وشقاوة كتصرفه في الشمس بمثل ذلك ، وكذا في جميع الأكوان [٤] . ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها [٥] .

أقسم هنا بهذه الخلائق والمشاهد الكونية ، وبالنفس آلة التفكر وتسويتها وإلهامها . والقسم بهذه الخلائق والمشاهد الكونية المتضادة والمتآخية والمترابطة ؛ لتأكيد الخبر ، والمقصود من التأكيد هو ما في سوق الخبر من التعريض بالتهديد والوعيد بالاستئصال [٦] .

ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى ، وأن يوجه إليها القلوب تتملاها ، وتتدبر ماذا لها من قيمة ، وماذا بها من دلالة حتى

---

(١) البديع : المصطلح والقيمة ، عبد الواحد علام ، ١٥٠. مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٢/ ٤٣٨. وأنوار التنزيل ١/ ١٥٤. وإرشاد العقل السليم ١/ ٣٥٢. وحاشية زاده ٣/ ٣٩.

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢/ ٥٥. والتفسير الكبير ٤/ ٢٢٣. وروح المعاني ٢/ ١١٠.

(٤) ينظر : نظم الدرر ٨/ ٤٣٧.

(٥) سورة البلد – سورة الفجر –

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٦.

استحقت أن يقسم بها العزيز الحكيم . وكل من هذه المتضادات المتطابقات : (الشمس والقمر ، والسماء والأرض ، والليل والنهار ، والتجلية والتغشية ، والبناء والطحو ، والفجور والتقوى ، والفلاح والخيبة ، والتزكية والتدسية ونفس الإنسان) من أعظم مخلوقات الله ذاتاً ومعنى . وكذلك كل من الضحى وتلو القمر الشمس والنهار والليل من أدق النظام التي جعلها الله تعالى .

والعنصر الجمالي في الطباق هو ما فيه من التلاؤم والتناسب بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان باعتبار أن المتطابقات أقرب تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات ، وعليه فقد كشف الطباق المتدفق عن قدرة الله الدقيقة وبديع حكمته الباهرة وبرهان سلطانه العظيم .

" وابتدئ بالشمس لمناسبة المقام إيماء للتنويه بالإسلام ، لأن هديه كنور الشمس لا يترك للضلال مسلكاً وأتبع بالقمر لأنه ينير الظلام كما أنار الإسلام في ابتداء ظهوره في ظلمة الشرك ، ثم ذكر النهار والليل معه لأنهما مثل لوضوح الإسلام بعد ضلالة الشرك ، ومناسبة استحضار السماء عقب ذكر الشمس والقمر ، واستحضار الأرض عقب ذكر النهار والليل واضحة ، ثم ذكرت النفس الإنسانية لأنها مظهر الهدى والضلال وهو المقصود " [١] . والقسم بالشمس وأضوائها الثلاثة الأصلية والمنعكسة للإخبار بأن الشمس أعظم النيرات ، ولما في حالها وحال أضوائها من الإيماء إلى أنها مثل لظهور الإيمان بعد الكفر ، وبث التقوى بعد الفجور ، فإن الكفر والمعاصي تمثل بالظلمة ، والإيمان والطاعات تمثل بالضياء ، وأعقب القسم بالنهار بالقسم بالليل لأن الليل مقابل وقت النهار فهو وقت الإظلام [٢] .

والذي تقتضيه الفصاحة أن الضمائر كلها إلى قوله (يغشاها) عائدة إلى الشمس ، وكما أن النهار جلّاها كان هو الذي يغشاها ، لتتفق الفواصل ، وليطابق بين قوله : (والنهار إذا جلّاها ، والليل إذا يغشاها) ، فلما حَسُنَ جَعْلُ الليل يغشى الشمس ، يحسنُ أن النهار يجليها [٣] . وإسناد التجلية إلى النهار

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٧.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٨.

(٣) ينظر : الكشاف ٤/ ٥٨٩. والتفسير الكبير ١٦/ ١٩٤. وفتوح الغيب ١٦/ ٤٥٥-٤٥٦.

والتغشية إلى الليل مجاز عقلي ، وتقييد القسم بالنهار بقيد وقت التجلية إدماج للمنة في القسم .

ولما كانت الفواصل ترتبت على ألف وهاء المؤنث أتى (والليل إذا يغشاها) بالمضارع لأنه الذي ترتب فيه ، ولو أتى بالماضي كالذي قبله وبعده كان يكون الترتيب إذا غشيها فتفوت الفاصلة وهي مقصودة ، وقيل لاستواء الأزمنة عنده تعالى شأنه [١] . وما في قوله (وما بناها – وما طحاها – وما سواها) موصولة بمعنى الذي ؛ لأن (ما) تقع على أولي العلم وغيرهم . وأوثرت على (مَنْ) لإرادة الوصفية تفخيمًا . وتنكير نفس للتكثير [٢] .

و(إذا)في الآيات الثلاث في محل نصب على الظرفية " متعلقة بكون هو حال من القمر ومن النهار ومن الليل فهو ظرف مستقر ، أي : مقسمًا بكل واحد من هذه الثلاثة في الحالة الدالة على أعظم أحواله وأشدها دلالة على عظيم صنع الله تعالى " [٣] .

وذكر تعريف ذات الله تعالى في (السماء والأرض والنفس) ؛ " لأن الاستدلال على الغائب لا يمكن إلا بالشاهد ، والشاهد ليس إلا العالم الجسماني ، وهو قسمان بسيط ومركب ، والبسيط قسمان : العلوية وإليه الإشارة بقوله : " والسماء " ، والسفلية وإليه الإشارة بقوله : " والأرض " ، والمركب هو أقسام وأشرفها ذوات الأنفس ، وإليه الإشارة بقوله :" ونفس وما سواها " [٤] .

وقوله تعالى : (قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) جواب القسم ، وحذفت لام القسم ؛ لطول الكلام المقتضي للتخفيف أو لسده مسدها، وقيل :

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٨/ ٤٧٣. وروح المعاني ١٠/ ٣٥٨.

(٢) ينظر : الكشاف ٤/ ٥٩٠. والتفسير الكبير ١٦/ ١٩٥-١٩٦. وأنوار التنزيل ٥٩٩/٢، و إرشاد العقل السليم ٦/ ٤٣٣ ، وفتوح الغيب ١٦/ ٤٥٦. وروح المعاني ١٠/ ٣٥٩. ومحاسن التأويل ، لمحمد للقاسمي ١٧/ ٦١٦٩، ط١، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م .

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٨.

(٤) التفسير الكبير ١٦/ ١٩٥.

جواب القسم محذوف تقديره : ليدمدم الله عليهم قاله الزمخشري [١] . وحث الطباق هنا على تكميل النفس والمبالغة فيه ، ولذا أقسم عليه بما يدلّهم على العلم بوجود الخالق المدبر ، ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية ، ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية [٢] . وتكرير (قد) لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيذان بتعلق القسم به أصالة [٣] .

***وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل : ٥- ١٠] لما أقسم الله في مطلع السورة بالليل إذا يغشى وبالنهار إذا تجلى وبالخالق العظيم الذي أوجد النوعين الذكر والأنثى على أن سعي الناس شتى في هذه الدنيا ، جاءت هذه الآيات لتفصّل في تشتيت هذه المساعي ، فبدأ بأمّا التفصيلية ، وقد جُعل التفصيل ببيان الساعين ؛ لأن المهم هو اختلاف أحوال الساعين ، ويلازمهم السعي فإيقاعهم في التفصيل بحسب مساعيهم يساوي إيقاع المساعي في التفصيل ، وهذا تفنن من أفانين الكلام الفصيح يحصل منه معنيان [٤] . والمقابلة ظاهرة بين الفريقين ، فريق ميسر لليسرى (أعطى واتقى وصدّق بالحسنى) ، وفريق ميسر للعسرى (بخل واستغنى وكذب بالحسنى) فجاءت كل كلمة في القسم الأول متقابلة مع كل كلمة في القسم الثاني .

ونلمح سرًا مهمًا فيما اشتملت عليه الكلمات الموجودة في الآية (أعطى – اتقى – صدّق بالحسنى) من العلم والعمل " فالنفس البشرية فيها ثلاث قوى : قوة

---

(١) ينظر : الكشاف ٤/ ٥٩١. والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥. والدر المصون ٦/ ٥٣١. وروح المعاني ١٠/ ٣٦٠. وفتوح الغيب ١٦/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) ينظر : أنوار التنزيل ٢/ ٦٠٠. وفتوح الغيب ١٦/ ٤٦٥. وحاشية زاده ٨/ ٦١٢.

(٣) روح المعاني ١٠/ ٣٦٠.

(٤) ينظر : روح المعاني ١٥/ ٣٦٦. والتحرير والتنوير ٣٠/ ٣٨١. وبلاغة البديع في جزء عم ، ص : ١٩٢.

البذل والإعطاء وقوة الكف والامتناع ، وقوة الإدراك والفهم ، فهذه القوى الثلاث عليها مدار صلاحهما وسعادتهما وبفسادها يكون فسادها وشقاوتها "[١] .

وتصدير القسمين المتقابلين بالإعطاء والبخل مع أن كلًا منهما أدنى مرتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى ؛ للإيذان بأن كلًا منهما أصلٌ فيما ذكر لا تتمة لما بعدها من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء [٢] .

وفي حذف متعلقات الأفعال (أعطى – اتقى – بخل – استغنى) تعميم وشمول وإطلاق ؛ ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به ، ولأن الغرض ذكر هذه الأحداث دون متعلقاتها [٣] . وكما حذف مفعولي أعطى واتقى وأطلقهما أطلق الحسنى بكل معانيها بحذف المفعول وحذف الموصوف لتتناسب مع باقي آيات السورة . وكذا العسرى .

وتأمل ترتيب العطاء ثم الاتقاء لأنه سبحانه بدأ بالأخص ثم ما هو أعم ثم ما هو أعم ، فكل معطٍ في سبيل الله متقي ، ولكن ليس كل متق معطي ، فالمعطي إذن أخص من المتقي ، وكل متق مصدق بالحسنى ، لكن ليس كل مصدق بالحسنى متق ، لذا فالمتقي أخص من المصدق بالحسنى ، وعلى هذا كان الترقي من الأخص إلى الأعم [٤] .

***وقد سبق هذا التقابل الذي شمل ست آيات تقابلٌ في بداية السورة ، قال تعالى ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ ، فقد أقسم بأشياء متضادة (الليل حينما يغشى الكون ويغطي بظلامه النهار – والنهار حينما يتجلى ، فهما صورتان متقابلتان) – يغشى – تجلى – الذكر – الأنثى) .والتعبير بالفعل المضارع (يغشى) لأن الليل يغشى شئياً فشيئاً بالتدريج ، وهو ليس كالنهار الذي يمتد دفعة واحدة بمجرد طلوع الشمس ، ولذا استخدم الفعل الماضي (تجلى) ،

(١) ينظر : التبيان في أقسام القرآن ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد شريف ، ص : ٤، ط١، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٨م .
(٢) ينظر : إرشاد العقل ٦/ ٤٣٧. وروح المعاني ١٥/ ٣٦٧.
(٣) ينظر : الجامع ١٠/ ٣٢٦. واللباب ٢٠/ ٣٧١. وحاشية زاده ٨/ ٦١٧.
(٤) ينظر : لمسات بيانية ،فاضل السامرائي١٦٦ ، دار عمار ، الأردن ، ١٤٢٨هـ .

والطباق بين الليل والنهار قصد التنبيه على الاعتبار بهما في الاستدلال على حكمة نظام الله في هذا الكون وبديع قدرته .

ثم امتد هذا التقابل ليشمل عماد الكون وهو الذكر والأنثى – من كل المخلوقات ، لأنه هو الأرجح ؛ وذلك لأن سياق الآيات كلها في هذه السورة جاء على العموم – ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾ وهما أيضًا متضادان ، ومجيء (ما الموصولة) هنا لإفادة معنيي الوصف و هما : أنه يقسم بخلقه وبذاته العلية . وكأنه قيل والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والأنثى. وعبر عن " من " بـ " (ما) ؛ للدلالة على الوصفية ولقصد التفخيم[١] .

ثم بيّن في جواب القسم نتيجة متضادة وهي (أن سعيكم لشتى) ، فكما اختلف الليل عن النهار والذكر عن الأنثى فكذا يختلف الجزاء تبعًا لذلك ، فمن الساعين من يعمل للجنة ومنهم من يعمل للنار ، وكأنه يبن لنا سبحانه وتعالى أن هذا التضاد وهذا الاختلاف وهذا الصراع هو سنة الله في هذا الكون .

ومجيء جواب القسم مؤكدًا بمؤكدين لأن المخاطب منكر لحكم الخبر ولذا وجب التوكيد [٢] ، ثم يستوقفك الترتيب هنا ، فبدأ بالليل قبل النهار لأنه أسبق وجودًا وخلقًا ، وبدأ بالذكر قبل الأنثى لأنه أسبق وتكرار القسم بالواو ثلاث مرات في الايات الثلاث للإعظام والتعظيم .

*** أيضاً ثم نجد تقابلا آخرَ في هذه السورة ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ ﴾ فكان مجموع هذه الآيات المتقابلة اثنتي عشرة آية ، وهذا يكشف عن كون المقابلة ركيزة أساسية في حبك هذه السورة [٣] .

---

(١) ينظر : الكشاف ٤/ ٥٩٣. والبحر المحيط ٨/ ٤٧٧. وأنوار التنزيل ٢/ ٦٠١. وإرشاد العقل ٦/ ٤٣٦. وروح المعاني ١٠/ ٣٦٦.

والتبيان في أقسام القرآن ص: ٨١. والدر المصون ٦/ ٥٣٤. وفتح القدير : ٤/ ٥٠٤. وحاشية زاده ٨/ ٦١٧.

(٢) ينظر : البلاغة والتطبيق ، ١٠٨.

(٣) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية . جميل عبد المجيد ، ١٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د . ط ، ١٩٩٨م . وبلاغة البديع في جزء عم ١٩٥.

*** وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ ﴾ هنا طباق بين لفظتي (التيسير والتعسير) المشار إليهما في الآية وهو من الطباق اللفظي الصريح ، والتيسير جعل الشيء ميسراً للحصول من غير مشقة ، والتعسير هي حالة من العسر والشدة ويراد به العذاب وهو جهنم ، وفي المطابقة بينهما إضافة دلالية لسرعة الجزاء اللاحق بالمكذبين بالبعث والنشور وذلك بتيسير الأعمال القائدة لهم إلى النار. وإيثار استعمال (نيسره) بدلاً من نجازيه بالعسرى على طريقة التهكم ، إذ ذكر التيسير في غير سياقه [1] . وهو أشد تهديداً ووعيداً بهم .

وقد أبرزت المقابلة في القسمين ثلاث صفات للمؤمنين هي أساس كل خير : (السخاء والتقوى والتصديق المطلق) في مقابلة ثلاث صفات للكافرين هي أساس كل شر : (البخل والغرور والتكذيب) ، وإن هذه الصفات ترسم في ذهن المتلقي صورة الاستغناء عن الله وعن ما أعده من نعيم في العقبى ، وما يترتب عليه من حسرة متولدة ، كما هو الحال مع صفات المؤمنين المذكورة التي ترسم في ذهنه معية الله لهم وتصريفه أمور معيشتهم بما يقودهم لليسرى وهي الجنة .

وخلاصة القول أن الفنون البديعة المتضافرة – التفريع والجمع مع التقسيم والمقابلة والمشاكلة – اشتركت في صياغة نسيج الآيات الكريمة ، وحققت التلاحم الشديد بين أجزاء النص ، وجاء كل ذلك متفاعلاً مع السياق فغرض السورة كان لبيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة ، لذا كانت المقابلة لبيان الفرق بين حال الفريقين ، وكانت أبرز سمة أسلوبية في هذا النص ، وقد رسمت حداً فاصلاً بين الفريقين لتمايزهم بالسلوك والاعتقاد ، فحضرت المقابلة في اثنتي عشرة آية .

وأيضاً كان للجمع مع التقسيم دور في بيان هذا التمايز ، فالجمع في قوله (وما خلق الذكر والأنثى) ، والتقسيم في قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى ... وأما من بخل واستغنى ...) .

والمشاكلة كانت بين (فسنيسره لليسرى) و (فسنيسره للعسرى) ، وهذه المشاكلة بنيت على الاستعارة التهكمية ، فاستعمل سبحانه وتعالى في هذا

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٨/ ٤٧٨. والجامع ١٠/ ٣٢٩. والطراز للعلوي ٣٨٥.

الخطاب القرآني (اليسر) مكان العسر تهكماً بالذين كذبوا بالحسنى ، فجاءت هذه اللفظة في السياق اللغوي لتجانس ما قبلها وتشاكله ، وحققت أيضًا التأثير العاطفي الشديد في نفوس المكذبين ، وأدت وظيفتها على مستوى النص في التمييز بين الفريقين .

*** ومنه قوله ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

ظاهر الآية أنها استئناف خبر من الله تعالى ، أخبر به أنه لا يكلف العباد من أفعال القلوب والجوارح إلا ما هو في وسع المكلف . والكسب من الحسنات ، والاكتساب من السيئات . وقيل : الكسب الفعل العائد على فاعله بنفع ، والاكتساب العائد على فاعله بضر [١] .

وقيل : الكسب والاكتساب واحد ، والقرآن ناطق بذلك ، قال تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة) [المدثر : ٣٨] وقال : (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) [الأنعام : ١٦٤] " لأن المطاوعة في اكتسب ليست على بابها، وإنما عبر هنا مرة بكسبت وأخرى باكتسبت تفننا وكراهية إعادة الكلمة بعينها " [٢] .

وقيل : الاكتساب أخص من الكسب ، لأن الكسب ينقسم إلى كسب لنفسه ولغيره ، والاكتساب لا يكون إلا لنفسه [٣] .

واختير الفعل (كسب) الدال على اختيار النفس للحسنات إشارة إلى أن الله يسوق إليها الناس بالفطرة ، واختير الفعل (اكتسبت) لدلالته على الاعتمال ، لأن النفس تشتهي ذلك وتميل إليه [٤] .

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٢/ ٣٨١.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٣٨١. والتحرير والتنوير ٣/ ١٣٧.

(٣) ينظر : كتاب الفروق ، لأبي هلال العسكري ، ص: ١٤٩، ط١، جروس برس ، بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م . . والمفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني، ٤٣٣، ط٣، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م . ولسان العرب :١/ ٧١٦.

(٤) ينظر : الجامع ٢/ ٣٦٧. وأنوار التنزيل ١/ ١٤٦. وحاشية زاده ٢/ ٦٩٦.

قال الزمخشري : " ينفعها ما كسبت من خير ، ويضرها ما اكتسبت من شر ، فإن قلت : لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت : في الاكتساب اعتمال ، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه ، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال " [١] .

وأكسب حرفا الجر (لها) و (عليها) التعبير القرآني وجهاً من التضاد والتقابل للدلالة على أن (لها) يعني الحسنات والثواب [٢] ، فتضاف إلى مُلِك كاسبها و(عليها) يعني السيئات والعقاب [٣] ، فتضاف إلى مُلِك مكتسبها ، زيادة على أثر هذه الحروف في توسيع المعنى لما في (اللام) من دلالة الملكية المؤذنة بالانتفاع ، وما في (على) من دلالة العلو المشعر بالتحمل أو الثقل المؤذن بالتضرر ، فصار تقابلهما كتقابل النفع والضر وهما ضدان .

وقد أضفت حروف الزيادة في صيغة الفعل (اكتسبت) دلالة إضافية بزيادة حرفي الألف والتاء على الفعل الأصلي الثلاثي (كسب) وهي الجهد والمشقة في فعل المعصية ، " فالاكتساب يستدعي التعمل والمحاولة والمعاناة ، أما الكسب فيحصل بأدنى ملابسة " [٤] لأن الأصل في كل حرف الدلالة على ما وضع له ، ولا يدل على معنى حرف آخر [٥] ، فجيء بصيغة الفعل (اكتسب) استيفاء للمعنى ، وتقوية للدلالة . وتقديم المجرورين لقصد الاختصاص ، أي لا يلحق غيرها شيء ، ولا يلحقها شيء من فعل غيرها .

---

(١) الكشاف ١/ ٣١٠.

(٢) ينظر : بدائع الفوائد ٢/ ٥٠٥. لابن القيم الجوزية ، تح : علي العمران ، دار عالم الفوائد ، ١٤٢٥.

(٣) ينظر : المصدر نفسه .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل ١/ ١٤٦. وحاشية زاده ٢/ ٦٩٦. وبدائع الفوائد ٢/ ٥٠٥. ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ٤/ ٢٨٩. لأحمد بن يعقوب المغربي ، ط٤ ضمن شروح التلخيص ، دار الهدى ، بيروت ، ١٩٩٢م .

(٥) ينظر : الكتاب ٤/ ٧٤.

ويمكننا القول أن مظاهر الطباق ودلالاته ليست أمرًا نافلًا أو زينة عرضية أو حلية تُكتسى يؤتى بها لغاية تحسينية شكلية ، بل " هي إجراءات أسلوبية تقوم على أساس الاختلاف والمغايرة والعدول ، مؤسسةً لمنهج فني بلاغي يحمل من الإيحاءات والأبعاد الفكرية والنفسية " (١) ، لأن بنيته " تتحدد بتوالي العناصر المرسومة في مقابل غير المرسومة في مجموعات ثنائية تمثل السياق والإجراء المضاد له ، الذي لا ينفصل عنه ، إذ لا يمكن أن يقوم أحدهما مستقلاً عن الآخر ، فكل واقعة أسلوبية تشمل بالضرورة سياقًا وتضادًا " (٢) .

ومن الطباق التدبيج ، وهو اسم مشتق من دبّج الربيع الأرض إذا زينها بألوان النبات والزهر(٣)، أو مشتق من الديباج (٤) . وهو نوع ممتاز من أنواع الحرير .

وفي الاصطلاح البلاغي : أسلوب بديع خاص يذكر الألوان التي يقصد بها المتكلم الكناية والتورية عن أشياء من مدح أو وصف أو هجاء أو نسيب (٥) .

*** ومما ورد في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فاطر : ٢٧] لما قرّر الله

---

(١) المظاهر البديعية ٥٠.

(٢) علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ، ١٩٥. صلاح فضل ، مؤسسة مختار للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

(٣) ينظر : لسان العرب مادة (دبج) ٢/ ٢٦٢.

(٤) ينظر : أساس البلاغة ١٨٢.

(٥) ينظر : المطول ٦٤١-٦٤٢. وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، للسبكي للسبكي ، تحقيق : خليل إبراهيم ، ٢/ ٣٣٣، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م . والإتقان ٣/ ٢٦٨. ومعترك الأقران ١/ ٣٩٥. وتحرير التحبير ٥٣٢. ، وبديع القرآن ٢٤٢.

ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/ ١١٨ . أحمد مطلوب ط١، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

تعالى وحدانيته بأدلّة قرّبها ، وأمثالٍ ضربها أتبعها بأدلةٍ سماوية وأرضية ، وهذه لفتةٌ كونيةٌ عجيبةٌ من اللفتات الدّالة على مصدر هذا الكتاب ، لفتة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها في الثمرات وفي الجبال . والآية استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمرٌ مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان .

والرؤية في قوله تعالى : (ألم تر) بصرية وقد تكون قلبية . لأن إسناد إنزاله تعالى لا يستدل عليه إلا بالعقل الموافق للنقل ، وإن كان إنزال المطر مشاهداً بالعين لكن رؤية القلب قد تكون مسندة لرؤية البصر ولغيرها" [١] . و الاستفهام تقريري ، ولا يكون إلا في الشيء الظاهر جداً .

وفي الآية التفات خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم في قوله (فأخرجنا) ؛ لما في ذلك من الفخامة والتعظيم ، لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة ، لأن نعمة الإخراج أتم من نعمة الإنزال لفائدة الإخراج ، فأسند الأتم إلى ذاته بضمير المتكلم وما دونه بضمير الغائب [٢] . وجيء بالجملتين الفعليتين في قوله : (أنزل) و (أخرجنا) ؛ لأن إنزال الماء وإخراج الثمرات متجدد آناً فأنا . " وذكْرُ إنزالِ الماء من السماء إدماجٌ في الغرض للاعتبار بقدرة الله مع ما فيه من اتحاد أصل نشأة الأصناف والأنواع . وجيء بالجملتين العليتين في (أنزل) و (أخرجنا) لأن إنزال الماء وإخراج الثمرات متجدد آناً فانا " [٣] . و(مختلفاً) نعت لثمرات ، وألوانها فاعل به ، ولولا ذلك لأنث مختلفاً ، ولكنه أُسند إلى جمع تكسير غير عاقل ، فجاز تذكيره للإيجاز [٤] .

***وفي قوله : ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ تقديم للمسند للاهتمام والتشويق لذكر المسند إليه حثاً على التأمل والنظر .

(١) البحر المحيط ٧/ ٢٩٦.
(٢) ينظر : الدر المصون ٥/ ٤٦٥. وإرشاد العقل ٥/ ٢٨٠. وفتح القدير ٣/ ٤٩٠.
(٣) التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٠١.
(٤) ينظر : البحر المحيط ٧/ ٢٩٦. والدر المصون ٥/ ٤٦٦.

ومن أوجه البلاغة البديعية المعجزة في هذه الآية إيثار الوحدة التنوعية بين الألوان المتضادة في التوافق الشامل للشكل والمضمون ، وذلك بعملية الجمع بين الألفاظ الثلاثة المتطابقة في (بيض وحمر وسود) ، وهذه الألوان المذكورة لا تخرج عنها ألوان الجبال ، فالجدد البيض كناية عن سيولة طرقها ، و حمرٌ كناية عن صعوبة السير فيها ، وغرابيب سود كناية عن وعورتها ، فحصل التدبيج باجتماع هذه الألوان .

ولعل المراد بذلك – والله أعلم – الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق ، لأن الجادة البيضاء هي الطريق الملحوب التي كثر السلوكُ عليها جداً ، وهي أوضح الطرق وأبينها ، ولهذا قيل : ركب المحجة البيضاء ، ودونها الحمراء ، ودون الحمراء السوداء كأنها في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الظهور والوضوح ، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة بينهما فالطرف الأعلى في الظهور البياض ، والطرف الأدنى في الخفاء السواد والأحمر بينهما على وضع الألوان في التركيب[١].

وفي هذا التعبير يتعاضد التقابل الدلالي مع التوازي التركيبي على المستوى الصوتي الذي أحدثه التنوين في الصيغ (**جُدَدٌ بِيضٌ - وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ- سُودٌ**) مُشَكْلًا مَلْمَحًا بارزًا يلفت الانتباه ويَشدُّ الأذهان ؛ لمتابعة الألفاظ والتراكيب التي تحقق متعةً وفائدةً دلالية في آنٍ معاً . ولما كانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم ، فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم . وهي مسوقة للاعتداد بالنعم على هدت إليه من السعي في طلب المصالح والمنافع وتجنب المضار والمعاطب والمهالك [٢] . وخلاصة القول أن بلاغة الطباق تكمن في الاعتبار باختلاف ألوان الأصناف من النوع الواحد .

وقوله : (وغرابيب سود) الغربيب الأسود المتناهي في السواد [٣] ، وفيه ثلاثة أوجه : إمّا أن يكون معطوفاً على حمر عطف ذي لون على ذي لون .

---

(١) ينظر : بديع القرآن ٢٤٢. ودراسات منهجية في علم البديع ٤٤.
(٢) ينظر : بديع القرآن ٢٤٢. وتحرير التحبير ٥٣٢. وجوهر الكنز ٢٢٨.
(٣) ينظر : لسان العرب ، مادة (غرب) ١/ ٦٤٧.

وإمّا أن يكون معطوفاً على بيض . والثالث : معطوف على جدد ، كأنه قيل : ومن الجبال مخطط ذو جدد ، ومنها ما هو على لون واحد [١] . ولم يذكر بعد (غرابيب سود) (مختلفاً ألوانها) كما ذكر ذلك بعد بيض وحمر لأن الغربيب هو المبالغ في السواد فصار لوناً واحداً غير متفاوت . وإنما وصف الغربيب بالسواد زيادة في التوكيد [٢] . وقد عدّ ابن رشيق القيرواني التوازي الصوتي ضرباً من ضروب المقابلة حين قال : " ومن المقابلة ما ليس موافقاً ولا مخالفاً إلا في الوزن والازدواج " [٣] .

***قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] الولي فعيل بمعنى فاعل ، ومعناه هنا : النصير والمعين . وهنا فريقان : المؤمنون والكافرون ، قد تباين الإخبار عنهما في هاتين الجملتين ، فاستفتحت آية المؤمنين باسم الله تعالى ، وأخبر عنه بأنه ولي المؤمنين تشريفاً لهم ، إذ بدئ في جملتهم باسمه تعالى ، ولقربه من قوله تعالى : (والله سميع عليم) .

واستفتحت آية الكافرين بذكرهم نعياً عليهم ، وتسمية لهم بما صدر منهم من القبيح ، ثم أخبر عنهم بأن أولياءهم هم الطاغوت ، ولم يصدّر الطاغوت استهانة به ، وأنه مما ينبغي أن لا يجعل مقابلاً لله تعالى ، ثم عكس الإخبار فيه ، فابتدئ بقوله (أولياؤهم) وجعل الطاغوت خبراً ، كأن الطاغوت هو مجهول . أعلم المخاطب بأن أولياء الكفار هو الطاغوت [٤] .

ويشترط الخطيب وشراح التلخيص الترتيب بين طرفي المقابلة ، ولكن جاء النظم القرآني في أعلى درجات البلاغة مخالفاً لهذا الشرط ، بل المقام والسياق يتطلبان عدم الترتيب ، وتوضيح ذلك حتى لا يقع الطاغوت في مقابلة

---

(١) ينظر : الدر المصون ٥/ ٤٦٦.
(٢) ينظر : الكشاف ٣/ ٥٦٣ .
(٣) العمدة ٢/ ٢٨.
(٤) ينظر : البحر المحيط ٢/ ٢٩٤.

الله سبحانه وتعالى ، بمعنى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والطاغوت ولي الذين كفروا يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، وهذا لا يليق . كما أن الله هو الذي تولى الذين آمنوا واختارهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، أما الطاغوت فلم يختر الذين كفروا ، بل الكافرون هم الذين اختاروا طريق الطاغوت وطريق الضلال .

ومما زاد المقابلة بلاغة عالية اختلاف التعبير ، حيث جاء في الأولى (يخرجهم) بصيغة الإفراد لأن طريق الهداية واحد ، وهو طريق الهداية الصراط المستقيم ، وفي الطرف الثاني جاء بصيغة الجمع يخرجونهم لأن طرق الباطل متنوعة وطرق الشيطان متشعبة ومتعددة . كما أن النور وردت بصيغة الإفراد مرتين ، وجاءت لفظة الظلمات مجموعة مرتين . والتكرار في متعلق الإخراج لتباين تعلقهما ، والتعبير بالفعل المضارع في (يخرجونهم و يخرجهم) للتجدد والاستمرار ، والأحسن في (يخرجونهم ، و يخرجهم) ألّا يكون لها محل من الإعراب لأنهما خرجا مخرج التفسير للولاية [١] .

٢ : مراعاة النظير :

وهو أن تجمع بين أمرٍ ومَا يُنَاسبه ، أو أمورٍ متناسبة لا بالتضاد [٢] ليخرج بذلك الطباق . أي بل بالتوافق في كون ما جمع من واد واحد لصحبته في إدراكه أو لمناسبته في شكله أو لترتيب بعضه على بعض [٣] . ويسمى عند بعض العلماء بـــ: التناسب والمتناسب والمناسبة والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة والتلفيق [٤] .

ومراعاة النظير من ألوان البديع ذات الصلة الوثيقة ببناء التركيب وصوغ العبارة ، وهذه الصلة تنبع من الطبيعة الفنية لهذا الفن التي تفرض وجود الائتلاف

---

(١) ينظر : الدر المصون ١/ ٦١٨. والتحرير والتنوير ٣/ ٣٠.

(٢) ينظر : الإيضاح ٦/ ١٩. والتلخيص ٣٥٤.

(٣) ينظر : حاشية الإيضاح ٦/ ١٩ ، شرح : محمد عبد المنعم خفاجي .

(٤) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، للرازي ، ١٧٥، ط١، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م . والمطول ٩٥، ٦٤٤.

وعروس الأفراح ٢/ ٣٣٧ . وعلم البديع دراسة تاريخية وفنية ص: ١٥٦.

والتناغم والانسجام بين المعنى المراد واللفظ المعبر عنه ، ثم تفرض وجود الائتلاف والتناغم بين اللفظين أو الألفاظ المعبرة ، وهذا الائتلاف والتناغم والانسجام من أهم الشروط التي ينبغي توافرها في صياغة العبارة وبناء التركيب شكلاً ومضموناً [١] .

وقد قسم بعض البلاغيين [٢] هذا اللون البديعي إلى أنواع مراعين في ذلك تعدد الأشكال والصور التي يمكن أن تدخل في إطار مراعاة النظير ، منها : ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، كما عدّوا من أنواعه ما يسمى إيهام التناسب . وهي محاولة خضعت لقواعد التقسيم والتفريع والمنطق . لكن لا تعنينا هذه التشقيقات ولا تلك التقسيمات بقدر ما يعنينا أثر التناسب في الأداء وما يقدمه في الكشف عن ثراء الدلالة ، وتشكيل علاقات النص القرآني على مختلف المستويات تشكيلاً جميلاً مِعطاء [٣] .

***ومما ورد في كتاب الله قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾ [الرحمن : ٥] في الآية الكريمة مراعاة النظير ، حيث جمعت الآية بين نعمتين من نعم الله بعد أن عدّد آلاءه ، وهما : (الشمس والقمر) نعمتان متناسبتان ؛ لتقارنهما في الخيال ، وكونهما كوكبين سماويين يبددان ظلام الكون ؛ حيث يظهر لنا تفردُه بخلق كوكب الشمس وكوكب القمر ، وامتنان بما أودع فيهما من منافع للناس ، دالان على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات . وتتجلى أيضًا دقة التقدير في تنسيق التكوين والحركة بما يملأ القلب روعة ودهشة وشعوراً بضخامة هذه الإشارة وما في طياتها من حقائق بعيدة الآماد عميقة الأغوار .

---

(١) ينظر : ألوان البديع في ضوء الطبائع الفنية والخصائص الوظيفية ، محمد علي فرغلي ، ٢٤٩، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالمنصورة ، ١٤١٩هـ . وبلاغة البديع في جزء عم ، ١٩٩.

(٢) ينظر : المصباح في المعاني والبيان والبديع ، لابن مالك ، ٢٤٦، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ والطراز للعلوي ٣/ ١٤٤-١٥١. وجواهر الكنز ١/ ٢١٤.

(٣) ينظر : في البنية والدلالة ٤٨.

وقد حقق هذا الجمع تناسباً معنوياً يخرج من دائرة التضاد والتناقض إلى التقارب الدلالي نتلمس أثره في انتماء هاتين النعمتين إلى موضع واحد، منه يبزغان ، وفيه يأفلان وهو السماء الدنيا ، زيادة على أن الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل يجريان في بروجهما بحسبان بانتظام مطرد لا يختل حساب الناس له والتوقيت به .

وجيء بهذه الجملة اسمية للتهويل بالابتداء باسم الشمس والقمر ، وللدلالة على أن حسبانهما ثابت لا يتغير منذ بدء الخلق مؤذن بحكمة الخالق سبحانه وتعالى ، واستغنى بجعل اسم الشمس والقمر مسنداً إليهما عن تفكيك المسند إلى مسندين : أحدهما يدل على الاستدلال والآخر يدل على الامتنان [١] .

والحسبان مصدر كالغفران بمعنى الحساب [٢] ، والباء في قوله : (بحسبان) للملابسة وهي ظرف هو خبر عن الشمس والقمر ، والتقدير : كائنان بحسبان ، أي بملابسة حسبان [٣] . وإسناد هذه الملابسة إلى الشمس والقمر إسناد مجازي عقلي ، لأن الشمس والقمر سبب لتلبس الناس بحسابهما .

وإنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكبيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ، ونضج الثمار ، فذكْرهمُا لبيان النعمة بهما على الخلق ، ولأن هذين الكوكبين هما الباديان لجميع الناس [٤] .

ثم يذكر الله من آلائه في البحرين ما هو قريب منهم في حياتهم ، **يقول تَعَالَىٰ:** ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الرحمن : ٢٢] والمرجان الخرز الأحمر ، واللؤلؤ كباره [٥] .

ونجد في اجتماع لفظتي (اللؤلؤ و المرجان) تحقيقاً لمراعاة النظير الذي ينعكس أثره على الإنتاج الدلالي للسياق ، فلم يقل يخرج منهما الياقوت والمرجان

---

(١) ينظر : حاشية زاده ٨/ ٥٢. والتحرير والتنوير ٢٧/ ٢٣٤.
(٢) ينظر : لسان العرب ، مادة (حسب) ١/ ٣١٤.
(٣) ينظر : الدر المصون ٦/ ٢٣٦.
(٤) ينظر : مجمع البيان ٩/ ٢٥٣.
(٥) ينظر : البحر المحيط ٨/ ١٨٤. وأنوار التنزيل ٢/ ٤٥٣. والدر المصون ٦/ ٢٤١. لسان العرب ٢/ ٣٦٦.

، أو الزبرجد واللؤلؤ رغم أن الجميع معادن نفيسة ؛ بل جمع مناسبة اللفظين بخروجها من مكان واحد وهو البحر ، واللافت هنا سياق الآية النحوي الذي يدعو إلى التساؤل ، لِمَ قال تعالى (منهما) على الرغم من أن موطن الخروج واحد ؟

والجواب : أن من نعم الله العظيمة أن خلق البحرين المالح والعذب متجاورين متلاقين لا فصل بينهما في مرأى العين ، إلا أن الأعظم في ذلك هو خلق حاجز يمنع تجاوز حدّيهما ، فلا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة[1] ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ ﴾ . فالالتقاء جعلهما شيئاً واحداً ، فجاز أن يقال يخرجان منهما ، كما يقال يخرجان من البحر ، والأصل أنهما يخرجان من ملتقى البحرين المالح والعذب . وذكر البرزخ تشبيه بليغ ، أي بينهما مثل البرزخ ، وهو معنى لا يبغيان ، أي لا يبغي أحدهما على الآخر ، فيفسد طعمه ، فاستعير لهذه الغلبة لفظ البغي الذي حقيقته الاعتداء والظلم [2] .

*** ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ ﴾ [التوبة : ٣٤]

الآية استئناف بياني لتنبيه المسلمين على نقائص أهل الكتاب تنقيصًا من شأنهم وتحقيرًا لهم في نفوسهم ؛ إذ جمعوا بين الخصلتين المذمومتين : أكل المال الباطل وكنز المال ، لما كان هذا حالهم التعيس أقبل سبحانه وتعالى على أهل ودّه مستعطفاً متلطفاً منادياً باسم الإيمان [3] .

وافتتاح الجملة بالنداء واقترانها بحرفي التأكيد للاهتمام بالمضمون ، وإسناد الحكم إلى كثير منهم دون جميعهم لأنهم لم يخلوا من وجود الصالحين ، والتعبير عن أخذ الأموال بالأكل مجاز ، إذ المقصود الأعظم من جمع المال هو الأكل ،

(١) ينظر : الكشاف ٤/ ٣٠٧. والدر المصون ٦/ ٢٤٠.
(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٤٩.
(٣) ينظر : البحر المحيط ٥/ ٣٨ . ونظم الدرر ٣/ ٣٠٥. أنوار التنزيل ١/ ٤٠٣.

فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده [١] . وجملة (والذين يكنزون ..) معطوفة على جملة (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً) ، والمناسبة بين الجملتين " أن كلتيهما تنبيه على مساوي أقوام يضعهم الناس في مقامات الرفعة والسؤدد وليسوا أهلاً لذلك ، فمضمون الجملة الأولى بيان مساوي أقوام رفع الناس أقدارهم لعلمهم ودينهم وكانوا منطوين على خبائث خفية ، ومضمون الجملة الثانية بيان مساوي أقوام رفعهم الناس لأجل أموالهم ، فبين الله أن تلك الأموال إذا لم تنفق في سبيل الله لا تغني عنهم شيئًا من العذاب " [٢] وأصل الكنز في اللغة الضم والجمع ، ولا يختص بالذهب والفضة ، لكن غلب استعماله في العرف على المدفون من الذهب والفضة [٣] .

وفي الآية مراعاة النظير ، تكمن وظيفته هنا على أساس الجمع بين الأمور المتناسبة ، من خلال الجمع بين لفظي (الذهب والفضة) ؛ للدلالة على أنهما نقدان متناسبان تقترن دلالتهما الحسية في الخيال والأذهان ، وكونهما النقدين الأساسيين في التعامل ، فتشكل توافقًا معنويًا لا على سبيل التضاد أوالتناقض ؛ بل تحقيقًا ومراعاة للألفاظ المتقاربة المقترنة النظيرة لبعضها [٤] . ولتحرير الإنسان وتخليصه من قيد الشهوات والشبهات اللتين تسلبانه وتجردانه من إنسانيته وإرادته [٥] .

والاقتران بين اللفظين مألوف متلائم ساعد وضع التناسب بينهما على تحقيق انسيابية السياق القرآني وتماسكه اللفظي والمعنوي ، ومما يؤكد هذا المعنى أنه لو عدل عن لفظ (الفضة) المقارب للفظ (الذهب) في الآية ، وأعاد توزيع

---

(١) ينظر : الكشاف ٢/ ٢٤٦. والتفسير الكبير ٨/ ٢٥٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ١٧٦.

(٣) ينظر : لسان العرب – مادة (كنز) ٥/ ٤٠١-٤٠٢.

(٤)ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن . عبد الفتاح لاشين ٣٦.

(٥) ينظر : تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات ،- سورة التوبة إنموذجا ، فخرية غريب ، ص : ٦ ، ط١، عالم الكتب ، الأردن ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .

الألفاظ بالوقوف على الذهب فقط مفسراً إياها بدلالة الأموال لأصبح المعنى سطحياً بعيداً عن مقصود التعبير القرآني المعجز [١] .

كما تكمن وظيفته أيضاً في فهم السياق القرآني للآية ، إذ يصور عذابهم وعذاب كل من يكنز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله يفسرها ما بعد الآية في قوله : (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

يقول الزمخشري معللاً تخصيص هذين اللفظين بالذكر من بين سائر الأموال : " لأنهما قانون التموُّل وأثمان الأشياء ، ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته ، ومَنْ كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلاً على ما سواهما " [٢] . وانتصاب (يوم) على الظرفية لعذاب [٣] ، لما في لفظ عذاب من معنى يعذبون ، وضمير عليها عائد على الذهب والفضة ، وبني الفعل (يُحمَى) للمجهول لعدم تعلق الغرض بالفاعل ، وأسند الفعل المبني للمجهول إلى المجرور لعدم تعلق الغرض بالمفعول المحمي لظهوره ، إذ ليس المراد أن تلم الأموال تُحمى على النار ، بل المراد أن النار تُحمى على تلك الأموال التي هي الذهب والفضة أي يوقد عليها نار حمي وحر شديد ، وهو مأخوذ من قوله : (نار حامية) ،فجعل الإحماء للنار مبالغة لأن النار في نفسها ذات حمى ، فإذا وصفت بأنها تحمى دلّ على شدة توقدها ، ولو قيل : (يوم تُحمى) لم يفد هذه الفائدة ، ولذلك لم يقرن بعلامة التأنيث ، وعدّى بعلى الدالة على الاستعلاء المجازي ؛ لإفادة أن الحمي تمكن من الأموال بحيث تكتسب حرارة المحمي كلها ، ثم أكد معنى التمكن بقوله : (في نار جهنم) فصارت الأموال محمية عليها النار وموضوعة في النار ، وبإضافة النار إلى جهنم علم أن المحمي هو نار جهنم التي هي أشد نار في الحرارة [٤] .

---

(١) ينظر : المظاهر البديعية ٩٢.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٤٨

(٣) ينظر : الدر المصون ٣/ ٤٦٠.

(٤) ينظر : الكشاف ٢/ ٢٤٨.

وتخصيص المواضع الثلاثة بالكي قيل : لأنه في الجهة أشنع ، وفي الجنب والظهر أوجع . وقيل : لأن غرض الكانزين من الكنز والجمع أن يكونوا عند الناس ذوي وجاهة ورياسة بسبب الغنى وأن يتنعموا بالمطاعم الشهية والملابس البهية فلوجاهتهم كان الكي بجباههم ولامتلاء جنوبهم بالطعام كووا عليها ، ولما لبسوه على ظهورهم كويت ، أو لأنهم إذا رأوا الفقير زووا ما بين أعينهم وازوروا عنه وأعرضوا وطووا كشحاً وولوه ظهورهم واستقبلوا جهة أخرى [١] .

*** ومما ورد في هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾ [مريم : ٤٥] آثر التعبير القرآني في هذه الآية خطاباً موحياً بالهدوء والاسترخاء والسكينة ، فيه إشاعة لجو من الحنو والاطمئنان بعيداً عن الخطاب الثائر العنيف ، وقد صوّر المشهد قلب النبي إبراهيم – عليه السلام – وما يتفجر به من حلم وشفقة ورقة وأدب وحسن معاملة نحو أبيه حرصًا على هدايته للإيمان بالله تعالى والتحذير من العذاب الذي يلحقه بسبب عبادة الشيطان وولايته. يقول الزمخشري : " ثمّ ربَّع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ، ولم يخل ذلك من حسن الأدب .." [٢] .

وهذا المعنى الذي عبرت عنه الألفاظ هو المعنى الدقيق الذي احتوته دلالاتها المتلائمة والمتناسبة ، حيث يتطلب النداء هنا أصواتاً واضحة تقرّب المعنى فجاء صوت حركة الفتحة الطويلة في الألفاظ (يا – أخاف – عذاب – وليّا) وصوت حركة الكسرة الطويلة في (إني) والضمة الطويلة في لفظ فتكُون ، مشعراً بالجو الهادئ المتناسب مع أسلوب الخطاب المعبر عنه .

جاء النداء بـ (يا أبتِ) ههنا ؛ إثارة للانتباه وتحريك للمشاعر الأبوية الحانية الجياشة التي يمتلئ بها فؤاد الأب تجاه ابنه ، أعقبه مباشرة التعبير بلفظ

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٥/ ٣٩. والتفسير الكبير ٨/ ٢٥٩-٢٦٠. وأنوار التنزيل ١/ ٤٠٣- ٤٠٤. وحاشية زاده ٤/ ٤٥٨.
والدر المصون ٣/ ٤٦٠. وروح المعاني ٥/ ٢٨٠. والتحرير والتنوير ١٠/ ١٧٨. ومجمع البيان ٥/ ٣٨.

(٢) الكشاف ٣/ ١٩.

الضمير (إني) تأكيداً منه لأبيه على العهد تجاه برّه لوالده ، مشيرًا بلفظ الخوف للدلالة على ما يعانيه من فزع أبيه ، وإشارة إلى عدم جزمه بوقوع العذاب عليه ، وهذا أخف من أن يقطع بعذابه .

" وأتى بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة ، ونكر العذاب للتعظيم ، ورتب على مس العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان ، وصدر كل نصيحة بقوله : (يا أبت) توسلًا إليه واستعطافًا ، وهذه المناصحات تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة أبيه والطماعية في هدايته "[1] . وكلمة (من) متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاد التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية [2] . " كما عدل عن إضافة العذاب إلى الرحمن ؛ لعدم التجانس بينهما ، فالمناسب للعذاب أن يضاف إلى الجبار أو المنتقم مثلاً لا إلى مصدر النعم ، وأما السرّ في وصف العذاب بأنه من الرحمن فالإشارة إلى أن العذاب إنما كان لأنه كفر بمن كان مصدراً للنعمة ولم يقم بواجب شكره " [3] .

ويلحق بمراعاة النظير مصطلح سمّاه البلاغيون (إيهام التناسب) وذلك بالجمع بين لفظتين أو أكثر يكون لأحدهما معنيان : الأول : غير مناسب لمعنى سابقه ، لكنه المعنى المقصود في السياق . والثاني : هو المعنى المناسب لدلالة سابقه ، لكنه غير مقصود . ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾ [الرحمن : ٥-٦]

لما ذكر الله تعالى ما أنعم به من منفعة الشمس والقمر وكان ذلك من الآيات العلوية ذكر في مقابلتهما من الآثار السفلية النجم والشجر إذ كانا رزقًا للإنسان ، والنجم ههنا النبات الذي لا ساق له ، والشجر النبات الذي له ساق

---

(١) الكشاف ٣/ ١٩. وينظر : البحر المحيط ٦/ ١٨٢-١٨٣. وإرشاد العقل السليم ٤/ ٢٤٣. وروح المعاني ٨/ ٤١٥.

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٤/ ٢٤٣. ودراسات منهجية في علم البديع ٧٢. وخصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم ، للشحات محمد ، ٣٤-٣٥، ط١، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(٣) التحرير والتنوير ١٦/ ١١٧. ومن بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، ١٠٨، نهضة مصر ، ٢٠٠٥م .

وارتفاع عن وجه الأرض . وتقديمه على الشجر لأنه أصل القوت ، والذي له ساق ثمره يتفكه به غالباً . وجعلت الجملة (والنجمُ ..) مفتتحة بالمسند إليه ؛ لتكون على صورة فاتحة الجملة التي عطفت عليها وأتى بالمسند فعلاً مضارعاً للدلالة على تجدد هذا السجود وتكرره [١] .

وجملة (والنجم والشجر يسجدان) معطوفة على ما قبلها ، فإن قيل كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قيل : " الشمس والقمر سماويان ، والنجم والشجر أرضيان ، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل ، وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين ، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله ، فهو مناسب لسجود النجم والشجر"[٢].

وخلت الجمل الأول من العطف وجيء به بعد ؛ لأنه بكّت بتلك الجمل الأول الواردة على سنن التهديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه ، ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف [٣] .

وأدّى الجمع بين ألفاظ (الشمس والقمر ، والنجم والشجر) إلى إيهام التناسب ؛ لتضمن لفظ النجم معنيين : المعنى الأول : يتناسب مع ذكر الشمس والقمر في الآية السابقة ؛ لارتباطه بدلالتهما إذا ما تبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أنه الكوكب السماوي أو نجم في السماء ، لكنه المعنى غير المقصود في هذا المقام .

والمعنى الثاني : يتناسب مع لفظ (الشجر) ؛ لأن المراد من النجم هنا النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له ، وهذا هو المعنى المناسب لدلالة الشجر ، وسجودُهما هو انقيادُهما لله تعالى فيما خُلقا له .

وبذلك يتبين أن النظائر حققت وظيفتها في التناسب الدلالي باجتماع الألفاظ : الشمس والقمر والنجم والشجر ، وفقًا لمبدأ المصاحبة المعجمية الذي يؤكد أن بين النجم والشجر مراعاة نظير ، في حين يسهم التناسب الموهم بمراعاة

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٨/ ١٨٨. والتحرير والتنوير ٢٧/ ٢٣٦.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٠٥.

(٣) ينظر : الكشاف ٤ / ٣٠٥

النظير من حيث المعنى غير المراد في السياق بين كل من (النجم والشمس والقمر) في الكشف عن القيم الجمالية للألفاظ ومعانيها ، اعتمادًا على مبدأ الاختيار والانتقاء الدقيق لتشكيل مستوى من مستويات البناء اللغوي . ومن البديع أن بين الآيتين " مناسبة أخرى قوية تصحح الوصل بينهما وهو التضاد ، باعتبار أن الشمس والقمر مخلوقان سماويان ، والنجم والشجر مخلوقان أرضيان " [١] .

***ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه : ١١٨-١١٩] تضمنت الآية ضرورات الحياة الأربع : الطعام والكساء والمسكن والشراب . والمناسب فيها بحسب الظاهر اقتران الجوع بالظمأ ، والعُري بالضحى ، لأنهما نظيران ، لكن السياق عدل عن الظاهر لأسباب منها : روعي مناسبة اللبس للشبع في أنهما أمران ضروريان لا غنى لأحد عنهما ، وروعي مناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين لهما ، فالري تابع للشبع، والاستظلال تابع للباس .

وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو؛ ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها [٢] و " لأنه أجرى الخطاب بمقتضى العادة لأن العادة أن يقال : جوعان عريان ، كما أن الضاحي الذي لا يستر جسمه ساتر ، متعرض لحرارة الشمس فيشعر كثيراً بالعطش ، فصار الضحى كأنه سبب فيه فقُرِنَ به [٣] . و" في هذه المخالفة والعدول لمحة من لمحات البيان الآسر أطلق عليه علماء البديع قطع النظير عن النظير ، والغرض من ذلك تحقيق تعداد النعم وتصنيفها ، ولو قرن كل نظير بما يماثله لتوهم متوهم أن المعدود نعمتان لا أربع " [٤] .

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع : ٨٣. وينظر : المظاهر البديعية ١٠٥

(٢) ينظر : الكشاف ٣/ ٨٣ – ٨٤. وخزانة الأدب ٢/ ٩٧. والبرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي ، تحقيق : زكي أبو سريع ، ٣/ ٥٨٨، ط١، دار الحضارة للنشر ، الرياض ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م . والتحرير والتنوير ١٦/ ٣٢٢.

(٣) ينظر : خصائص التعبير القرآني ١/ ٢٣٠-٢٣١.

(٤) خصائص التعبير القرآني ١/ ٢٣١.

والـذي يبـدو أن التعبيـر القرآنـي عـدل عـن مقتضـى الظـاهر؛ لأن دلالـة السياق تـوحي بـأن " الجـوع والعـري يسـببان الشـعور بـالبرد فجمعـا معـاً ، والظمـأ والضـحى يسببان الشـعور بـالحر ، إذ الأول يبعث التهاب الجوف ، والثاني يلهب الجلد ، فناسب الجمع بينهما " (١) .

وبيّن ابن أبي الإصبع أن مجيء الآيتين على ما توهمه المتوهم يؤدي إلى فساد معنى النظم ، " لأنه لو قيل : إنّ لك ألا تجوع فيها ، ولا تظمأ لوجب أن يقال : وإنك لا تعرى فيها ولا تضحى ، و التضحي معناه البروز للشمس بغير سترة ، فيكون معناه التعري ، وعند ذلك يصير معنى الكلام وأنك لا تعرى فيها ولا تعرى ، وهذا فساد ظاهر " (٢) .

ومن مراعاة النظير ما يسميه بعض البلاغيين بتشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يتناسب مع أوله في المعنى دون اللفظ ؛ لأن ما ختم به كالعلة لما بُدِئَ به أو كالدليل عليه (٣) ، مما يؤكد الترابط اللغوي للعلاقات المتباعدة .

*** **وفي قوله تعالى إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾** ﴾ المائدة: ١١٨] مقصود عيسى – عليه السلام – تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى ، وترك الاعتراض بالكلية . فإن تقدر لهم ما يستحقون أن يعذبوا عليه فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك ، وإن قدرت لهم أسباب المغفرة فإنك أنت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب . الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب (٤) .

وقد جاء التناسب في تشابه الأطراف في الآية الكريمة خفيًا لا يدرك إلا بالتأمل وإطالة النظر ، فكان مقتضى السياق والنظم أن قوله : (إن تغفر) أن تختم الفاصلة بـ: (فإنك أنت الغفور الرحيم) تحقيقًا لمعادلة الترابط والتناسب الدلالي ، فالظاهر يقتضي ذكر الغفران مع الزلل ، والرحمة مع العذاب؛ إلا أنه عدل عن ذلك إلى (العزيز الحكيم) ، وذلك لأن (العزيز) الغالب الذي

---

(١) من بلاغة القرآن ١٤٤.

(٢) بديع القرآن ١٣٩-١٤٠.

(٣) ينظر : الإيضاح ٦/ ٢١. والتلخيص ٣٥٤. ومواهب الفتاح ٤/ ٣٠٣.

(٤) ينظر : الكشاف ١/ ٦٤٩. وأنوار التنزيل ١/ ٢٩٠.

لا يعترض عليه أحد ، و(الحكيم) الذي يضع الشيء في محله ، والله تعالى كذلك، فقد وصف نفسه بالحكيم للإشارة إلى أن فعله ذلك لحكمة وإن كانت تخفى على خلقه ، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسنٌ ، أي : وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك أحد في ذلك والحكمة فيما فعلته [١] .

قال أبو حيان : " والجواب أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله تعالى ، ومتى نقل إلى ما قال هذا الطاعن ضعف معناه ، فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني ، ولا يكون له بالشرط الأول تعلق ، وهو ما أنزله الله وأجمع على قراءته المسلمون معذوق – أي علامة – بالشرطين كلاهما ... فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان لعمومه وأنه يجمع الشرطين التعذيب والغفران " [٢] .

٣- المشاكلة :

المشاكلة في اللغة : المشابهة والموافقة ، يقال شاكله أي : شابهه [٣] ، وفي الاصطلاح : التعبير عن المعنى بلفظ غيره أو بلفظ مضاد للفظ الغير أو مناسب له لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً [٤] .

والشيئان المتشاكلان هما اللفظان الواردان في الكلام يشبه أحدهما الآخر ، ويخالفه في المعنى المراد ، وهذا يحدث في الكلام حسناً ، ويزيد المعنى بهجة وجمالاً ، والوقوع على المعنى المراد يحدث تنبيهاً وإيقاظاً لدى مشاعر المتأمل في الكلام .

---

(١) ينظر : الكشاف ١/ ٦٤٩-٦٥٠. والإيضاح ٦/ ٢٢. والتبيان للطيبي ٣٥٤. وفتوح الغيب ٥/ ٥٤٧. ومجمع البيان في تفسير القرآن ، للفضل بن الحسن الطبرسي ، ٣/ ٣٧٧، ط١، دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م . ودراسات منهجية ٨٠. والبديع في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، ٣٧، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦م . وعلم البديع لبسيوني فيود ١٦٠. وأساليب البديع ١١٠.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٦٦-٦٧. وينظر : الدر المصون ٢/ ٦٥٩. وروح المعاني ٤/ ٦٨. ومجمع البيان ٣/ ٣٧٧.

(٣) ينظر : لسان العرب – مادة (شكل) ١١/ ٣٥٦.

(٤) ينظر : الإيضاح ٦/ ٢٦. والتلخيص ٣٥٦. والمطول ٦٤٨. ومعترك الأقران ١/ ٤١١

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة : ١٥]

لم تعطف جملة (الله يستهزئ بهم) لأنها مستأنفة استئنافًا بيانيًا جوابًا لسؤال مقدر ، " وذلك أن السامع لحكاية قولهم للمؤمنين آمنا ، وقولهم لشياطينهم إنا معكم ، يقول لقد راجت حيلتهم على المسلمين الغافلين عن كيدهم ، فهل يتفطن متفطن في المسلمين لأحوالهم فيجازيهم على استهزائهم أو هل يرد لهم ما راموا من المسلمين ، ومن الذي يتولى مقابلة صنيعهم فكان الاستئناف بقوله : (الله يستهزئ بهم) غاية الفخامة والجزالة [١] .

يقول الزمخشري : " وفيه أن الله – عز وجل – هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل " [٢]

وتقديم المسند إليه على الخبر لإفادة تقوي الحكم وفيه من التفخيم والتعظيم ما فيه . وجعل الخبر فعلًا مضارعاً يدل على التجدد والتكرر ، فهو أبلغ في النسبة من الاستهزاء المخبر به في قولهم ، ثم في ذلك التنصيص على الذين يستهزئ الله بهم إذ عدى الفعل إليهم فقال : (يستهزئ بهم) وهم لم ينصوا حين نسبوا الاستهزاء إليهم على من تعلق به الاستهزاء ؛ وذلك لتحرجهم من إبلاغ المؤمنين فينقمون ذلك عليهم [٣].

وفعل (يستهزئ) المسند إلى الله ليس مستعملًا في حقيقته ، والمراد – والله أعلم – أنه يجازيهم على استهزائهم بالمؤمنين ، فذكر الجزاء بلفظ الاستهزاء ليشاكل استهزاء المنافقين ، والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم . وفيه شدة

(١) التحرير والتنوير ١/ ٢٩٣.
(٢) الكشاف ١/ ٧٤. وينظر : إرشاد العقل ١/ ٦٦.
(٣) ينظر : البحر المحيط ١/ ٢٠٣.

تحذير وقوة ردع وزجر لهؤلاء المنافقين كي يكفوا عن نفاقهم وينتهوا عن استهزائهم بآيات الله وعن الاستهزاء برسوله – صلى الله عليه وسلم – وبالمؤمنين [١] .

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢]

الخداع : إظهار غير ما في النفس . والآية استئناف ابتدائي فيه زيادة بيان لمساويهم ، وتأكيد الجملة بحرف (إنّ) لتحقيق حالتهم العجيبة وتحقيق ما عقبها (وهو خادعهم) .

وفي قوله : (يخادعون الله وهو خادعهم) مشاكلة ؛ حيث سُمّي الثاني خداعًا لأنه مجازاة ، أي فقابل صنيعهم ومكرهم وعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين وفسادهم ومؤامراتهم وإظهارهم الإيمان وإبطان نقيضه ، والله خادعهم . أي مجازيهم على خداعهم ، أن صنع بهم صنع من يخادع من خادعه جزاء وفاقًا ، حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والأموال وأعدّ لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار [٢] . وإطلاق الخداع على استدراج الله إياهم استعارة تمثيلية وحسنتها المشاكلة " لأن المشاكلة لا تعدو أن تكون استعارة لفظ لغير معناه مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل اللفظ المستعار ، فالمشاكلة ترجع إلى التمليح ،

(١) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ٩٩. والبحر المحيط ١/ ٢٠٢. والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٠٢. وأنوار التنزيل ١/ ٢٨. وإرشاد العقل ١/ ٦٥. والإتقان ٣/ ٢٨٢. ومعترك الأقران ١/ ٤١١. وروح المعاني ١/ ١٦٠. وفتح القدير ١/ ٣٧والتحرير والتنوير ١/ ٢٩٤. وعلم البديع دراسة فنية ١٩١.

(٢) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ٩٩. والكشاف ١/ ٥٣٩. والبحر المحيط ١/ ١٨٥، ٣/ ٣٩٢. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام شافي ، ١/ ٩٠، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م . والجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٠٢. وإرشاد العقل ٢/ ٢١٠. وفتح القدير ١/ ٣٤ ، ٤٧٥–٤٧٦. والتحرير والتنوير ٥/ ٢٣٩. والبديع تأصيل وتجديد ، منير سلطان ، ٩٤، منشأة الإسكندرية ، ١٩٨٦م

أي إذا لم تكن لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقة بين معنى اللفظ والمعنى المراد إلا محاكاة اللفظ سميت مشاكلة " [١] .

ٱ*** ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ ﴾ [المائدة:١١٦]

لمناسبة السياق استعمل النظم القرآني كلمة (النفس) لما تقدم ذكره من لفظة (النفس) التي أطلقت على ذات الله تعالى لوقوعها في صحبة اللفظ الثاني (نفسي) ، فيتوهم القارئ في بادئ النظر أن المعنى الثاني هو المعنى الأول ، وجيء به للمشاكلة اللفظية فحسب ؛ لكن عند التأمل والتدبر في فهم معنى الآية يزول التوهم ، ويتضح أن اللفظ المشاكل هو الثاني الذي يحمل دلالة عيسى – عليه السلام – لمشاكلته اللفظة الأولى [٢]

ويلحظ كيف حققت المشاكلة بين اللفظين المذكورين من تمازج على المستويين اللفظي والدلالي ، فلفظة نفس لا يمكن أن تصدق على الذات الإلهية لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾، فالمراد منها معنى آخر ، وجيء بلفظ (نفسك) للمشاكلة التي حققت الانسجام ؛ لما فيها من مفارقة دلالية أبعدت الرتابة الأسلوبية على مستوى تلقي النص ، فإعادة اللفظ هنا حافظ على الترابط المفهومي ومنح النص صورة لغوية جديدة ، إذ إن أحد العنصرين المكررين أسهم في فهم الآخر فضلاً عن أن هذا التكرار أضفى على النص طابع الاستمرارية على المستوى الصوتي والدلالي ، فلا يشعرك بالانقطاع في عملية التلقي .

---

(١) التحرير والتنوير ٥/ ٢٣٩.

(٢) ينظر : الكشاف ١/ ٦٤٧. والتفسير الكبير ٦/ ٣٤٢. والبحر المحيط ٤: ٦٤. وأنوار التنزيل ١/ ٢٩٠. وإرشاد العقل ٢/ ٣٤٤. والتبيان للطيبي ٣٤٧. وفتوح الغيوب ٥/ ٥٤٢.ومفتاح العلوم ٥٣٤. والتلخيص ٣٥٦. والإيضاح ٦/ ٢٧. ومجمع البيان ٣/ ٣٧٦. والإتقان ٣/ ٢٨١. ومعترك الأقران ١/ ٤١١. والمطول : ٦٤٨. وحاشية زاده ٣/ ٦١٦. وفتح القدير ١/ ٥٧١. وروح المعاني ٤/ ٦٤. والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد أبو موسى ، ٥٧٩ ، ط٢، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م .

ومقصود الآية ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ أي : تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ، وقيل : تعلم ما أخفي ، ولا أعلم ما تخفي . وقيل : تعلم سري ولا أعلم سرك ، لأن السر موضعه النفس .

وخص النفس لأنها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات ، وأتى بقوله : (ما نفسك) على سبيل المشاكلة ، وإضافة النفس إلى اسم الجلالة هنا بمعنى العلم الذي لم يطلع عليه غيره ، أي ولا أعلم ما تعلمه ، أي : بما انفردت به [١] .

وقوله : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ هذا تقرير للجملتين معًا ؛ لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ، ولأن ما يعلمه علاّم الغيوب لا ينتهي إليه أحد فإذا كنت أنت المختص بعلم الغيب فلا علم لي بالغيب فكيف تكون لي الألوهية ؟ ولذلك جيء بإنّ المفيدة للتعليل ، وقد جمع فيه أربع مؤكدات وطريقة حصر ، فضمير الفصل أفاد الحصر ، وإنّ ، وصيغة الحصر ، وجَمْع الغيوب وأداة الاستغراب [٢] .

*** وهنا تسجل المشاكلة التقديرية (صبغة الله) موقفاً بين قول وفعل كان عليه الناس ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٨] ونعني بالمشاكلة التقديرية أن يُذكر المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديرًا ، بمعنى أن يكون " هناك فعل له لفظ دلّ عليه ولم يذكر ، فيذكر لفظ كاللفظ الدال على ذلك الفعل " [٣] فالمعنى يكون فيها مقدرًا كما في هذه الآية . ولفظ المشاكلة (صبغة الله) قال : مجاهد : أي فطرة الله . وتبعه الزجاج [٤] ، وهو مصدر مؤكد منتصب [٥] عن قوله : (آمنا بالله) و

---

(١) ينظر : الكشاف ١/ ٦٤٧. والتفسير الكبير ٦/ ٣٤٢. والبحر المحيط ٤/ ٦٤. والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٦٩٧. والتبيان للطيبي ٣٤٧. والتحرير والتنوير ٧/ ١١٥.

(٢) ينظر : الكشاف ١/ ٦٤٧. والبحر المحيط ٤/ ٦٤. والتحرير والتنوير ٧/ ١١٥.

(٣) الكليات ، للكفوي ٨٤٣.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٥٠. وينظر : مفتاح العلوم ٥٣٤.

(٥) ينظر : الكشاف ١/ ١٨٤. والبحر المحيط ١/ ٥٨٤. والدر المصون ١/ ٣٨٨.

المعنى تطهير الله ، لأن الإيمان يطهر النفوس من أوضار الكفر ، وإضافتها إلى الله للتشريف والإيذان بأنها عطية منه سبحانه وتعالى . وهي فعلة من (صبغ) كالجلسة من (جلس) وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ ، والمعنى تطهير الله ، للعبد ؛ لأن الإيمان يطهر النفوس ، فأقام الصبغ مقام التطهير ليشاكل صبغ النصارى . والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون : هو تطهير لهم ، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قالوا : الآن صار نصرانياً حقاً ، فأُمِر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتكم . وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة ؛ لوقوعها في صحبة صبغة النصارى المقدرة ، وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغة لقرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر [١] . وقد نقل الخطيب هذا النص وجعله من القسم الثاني من المشاكلة وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديرا ، لأن لفظ (الصبغ) لم يقع من النصارى [٢]

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾ [البقرة : ٢٦]

يقول الزمخشري عن المشاكلة : " ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا : أما يستحي ربّ محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ؟ فجاءت

(١) ينظر : الكشاف ١/ ١٨٤. والبحر المحيط ١/ ٥٨٤. والدر المصون ١/ ٣٨٨. والإيضاح ٦/ ٢٩. والتلخيص ٣٥٧. والتبيان للطيبي ٣٤٨. والإتقان ٣/ ٢٨٢. ومعترك الأقران ١/ ٤١١. والتحرير والتنوير ١/ ٧٤٤. وروح المعاني ١/ ٣٩٥. والبديع في أساليب القرآن ٧٦. والمظاهر البديعية وأثرها الأسلوبي في التعبير القرآني ، هدى صيهود ، ٣٨٤. رسالة ماجستير ، في اللغة العربية – جامعة ديالى ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .ا

(٢) ينظر : بغية الإيضاح ٦/ ٢٩. والتلخيص ٣٥٧.

على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال ، وهو فنّ من كلامهم بديع وطراز عجيب ، منه قول أبي تمام :

مَنْ مُبْلِغٌ أفناءَ يَعْرُبَ كُلّها أَنّي بَنَيْتُ الجارَ قَبلَ المنزِلِ " (١) .

في الآية الكريمة مشاكلة تقديرية (٢) في قوله : (إنّ الله لا يستحي) تأتي من إطباق الجواب على السؤال ، تقديرًا لسؤال الكفار (أما يستحي) فجاءت على سبيل المقابلة اللغوية ، وهي مشاكلة تمتد إلى ما وراء السياق الظاهر من الألفاظ لتوصلنا إلى أذهان الكفار وما فيها من ظنون رديئة بالله سبحانه وتعالى – وعبارات سيئة تلوكها ألسنتهم في خفية أو في مجالسهم الخاصة يجسدون بها هذه الظنون الفاسدة . فجاءت المشاكلة لتكشف لنا هذا كله بإظهار حقيقة موقف الكفار وإبراز سوء أدبهم .

٤– الإدماج :

دمج الشيء دموجاً واندماجاً ، إذا دخل في الشيء واستتر فيه ، والإدماج إدخال الشيء في الشيء (٣) . وفي اصطلاح البلاغيين : " هو أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحّاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عَرَض في كلامه ، لتتمة معناه الذي قصد إليه " (٤) . وهذا التعريف فيه فضل بيان لتعريف القزويني الذي يرى أن الإدماج هو أن يضمن كلام سِيق لمعنى آخر (٥) .

---

(١) الكشاف ١/ ١١١. وينظر : إرشاد العقل السليم ١/ ٩٧–٩٨. والبلاغة القرآنية ، ص : ٥٧٨.

(٢) ينظر : الكشاف ١/ ١١١. وإرشاد العقل السليم ١/ ٩٧–٩٨. اللباب ١/ ٤٦٠. والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ٣٤٨. والبديع في القرآن أنواعه ووظائفه ، لإبراهيم علان ، ص ١٣٧، ط١، دائرة الثقافة ، الشارقة ، ٢٠٠٢م . وخصائص التعبير القرآني ٢/ ٤٥٦. والبديع تأصيل وتجديد ٩٨. .

(٣) ينظر اللسان – مادة (دمج) ٢/ ٢٧٦.

(٤) تحرير التحبير ٤٤٩. وبديع القرآن ١٧٢. وينظر : الإتقان ٣/ ٢٦١. ومعترك الأقران ١/ ٣٨٧.

(٥) الإيضاح ٦/ ٧٩. وينظر : التلخيص ٣٨٣ . والمطول ٦٧٧. والتبيان ٣٩٠.

وهكذا ينبئ هذا الكلام في هذا الفن بوجوب الغوص على المعاني والنفاذ إلى بواطن علاقات الكلمات واستنطاق ما فيها من إشارات قد تكون بعيدة للوهلة الأولى ، ولكنها مهمة ، بل قد تكون الغرض الأول .

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] الآية استئناف لذكر غاية الطلاق ، فإنه لما ذكر الحق الرجعة ، ولم يبين لها غاية تنتهي بها فكانت الآية كالمجمل عُرِض سؤالٌ : هل هي ممتدة كما كانوا يفعلون في الجاهلية فقال : (الطلاق مرتان) . وإيثار (مرتان) على طلقتين تنبيهاً على أنه ينبغي أن تكون مرة بعد مرة كل طلقة في مرة لا أن يجمعهما في مرة [١] .

ولما كان له بعد الثانية في العدة حالان : إعمال وإهمال ، وكان الإعمال إما بالرجعة ، وإما بالطلاق بدأ بالإعمال ، لأنه الأَوْلى بالبيان ، لأنه أقرب إلى أن يؤذي به ، وأخر الإهمال إلى أن تنقضي العدة فقال معقباً بالفاء " فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان " . والتعريف في قوله : (الطلاق) لتعريف الجنس على ما هو المتبادر في تعريف المصادر ، وفي مساق التشريع ، فإن التشريع يقصد بيان الحقائق الشرعية . ويجوز أن يكون تعريف الطلاق تعريف العهد لقوله تعالى : " والمطلقات يتربصن "[٢].

*** وفي قوله : ﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ إدماج ، والمقصود من هذه الجملة " إدماج الوصاية بالإحسان في حال المراجعة وفي حال تركها ، فإن الله كتب الإحسان على كل شيء إبطالًا لأفعال الجاهلية وقد ظهر من هذا أن المقصود من الجملة هو الإمساك أو التسريح المطلقين وإما تقييد الإمساك بالمعروف ، والتسريح بالإحسان فهو إدماج لوصية أخرى في كلتا الحالتين – يعني الطلاق أو الفراق – إدماجاً في أثناء التشريع " [٣] . وهنا تظهر بلاغة الإدماج في تأصيل القانون التشريعي الواقعي الذي يواجه الحالات الواقعة

---

(١) ينظر : الكشاف ١/ ٢٥٥. ونظم الدرر ١/ ٤٣٠.
(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢/ ٤٠٤–٤٠٥ بتصرف .
(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٤٠٦.

بالحلول العملية ، ولا يستنكرها حيث لا يجدي الاستنكار ولا يهملها كذلك حيث لا يجدي الإهمال .

ويدل هذا الإدماج على أن المقصود من التشريع ليس تقنين الروابط الأسرية بقدر ما هو إضفاء الأخلاق السامية عليها ، فكم من قانون ينظم الروابط الأسرية قائم على جفاف العاطفة وقسوة التعامل ، وهذا ما لا يريده القرآن العظيم والتشريع الحكيم ، ولذا أعطانا صورة مشرقة للقانون الإسلامي في نزاع من تلك النزاعات الأسرية .

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء : ١٧٢] الآية تقرّرُ أكبر قضايا التصور الاعتقادي الصحيح ، وهي الحقيقة الاعتقادية التي تنشأ في النفس من تقرير حقيقة الوحدانية ، التي لا تتلبس بشبهة شرك أو مشابهة في صورة من الصور ، حقيقة أن ألوهية الخالق تتبعها عبودية الخلائق . ويصحح القرآن هنا عقيدة النصارى كما يصحح كل عقيدة تجعل للملائكة بنوة كبنوة عيسى أو شركاً في الألوهية .

والاستنكاف التكبر والامتناع بأنفة ، فهو أشد من الاستكبار ، ونفي استنكاف المسيح إما إخبار عن اعتراف عيسى بأنه عبد لله ، لأنه خير من يعرف حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وأنهما ماهيتان مختلفتان لا تمتزجان ، وهو خير من يعرف أنه من خلق ، وما تنكير (عبد لله) إلا دليل على عبوديته المطلقة لله . وإما احتجاج على النصارى بما يوجد في أناجيلهم .

والملائكة معطوف على المسيح ، مع أنه لم يتقدم ذكر لمزاعم المشركين بأن الملائكة بنات الله حتى يتعرض لرّد ذلك أي : ولن يستنكف الملائكة أن يكونوا عبيدًا لله ، وفي ذلك " إدماج لقصد استقصاء كل من أُدّعيت له بنوة الله ليشمله الخبر بنفي استنكافه عن أن يكون عبداً لله إذ تقدم قبله قوله (سبحانه أن يكون له ولد) وقد قالت العرب : إن الملائكة بنات الله من نساء الجن ، ولأنه قد

تقدم قوله : (له ما في السموات وما في الأرض) ، ومن أفضل ما في السموات الملائكة فذكروا هنا للدلالة على اعترافهم بالعبودية " [١] .

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾

[طه : ٥٣] الذي خبر لمبتدأ محذوف ، أومنصوب بإضمار أمدح وهو على هذين التقديرين من كلام الله تعالى لا من كلام موسى ، وإنما احتجنا إلى ذلك لأن قوله (فأخرجنا به) لا يتأتى أن يكون من كلام موسى ، ولذلك جعلناه من كلام الباري ويكون فيه التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه [٢] ، ونكتة الالتفات وحسنه " أنه بعد أن حج المشركين بحجة انفراده بخلق الأرض وتسخير السماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه ارتقى إلى صيغة المتكلم المطاع ، فإن الذي خلق الأرض وسخر السماء حقيق بأن تطيعه القوى والعناصر " [٣] .

والمراد بالخطاب في (لكم) الخلق أجمع نبههم على هذه الآيات . وهنا يعرض على فرعون آثار تدبير الله في الكون وآلائه على بني الإنسان ، فيختار بعض هذه الآثار المحيطة بفرعون ، المشهودة له في مصر ذات التربة الخصبة والماء الموفور والأنعام " ولما ذكر منّة خلق الأرض شفعها بمنّة إخراج النبات منها بما ينزل عليها من السماء من ماء . وتلك منة تنبئ عن خلق السموات حيث أجرى ذكرها لقصد ذلك التذكير ، ولذا لم يقل : وصببنا الماء على الأرض كما في آية ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [عبس : ٢٥-٢٦] ، وهذا إدماج بليغ " [٤] .

*** ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ **المؤمنون: ١١١]** سياق الآية جاء في معرض الحديث عن

---

(١) التحرير والتنوير ٦/ ٦٠.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٦/ ٢٣٤. والدر المصون ٥/ ٢٧-٢٨.

(٣) الكشاف ٣/ ٦٢. والتحرير والتنوير ١٦/ ٢٣٥.

(٤) التحرير والتنوير ١٦/ ٢٣٧

توبيخ الكفار وتبكيتهم فإنه لما قال لهم : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ فبعد هذا الرد القاسي المهين وبيان أسبابه تشوفت النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم إلى جزائهم فقال : ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ﴾ فكلمة (بما صبروا) إدماج للتنويه بصبرهم على عبادة الله ، والتنبيه على سخريتهم واستهزائهم وأنها كانت سبباً في صبرهم الذي أكسبهم الجزاء والفوز ، وفي ذلك زيادة تلهيف للمخاطبين بأن كانوا هم السبب في ضر أنفسهم ونفع من كانوا يعدونهم أعداءهم [1] وفي ذلك إغاظة لهم وتبكيتهم وتيئسهم .

*** ومن شواهد الإدماج **قوله تَعَالَىٰ:** ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [القصص : ٧٠] بعد أن أخبر سبحانه وتعالى بأنه الله الذي لا إله إلا هو يخبر ثانياً بقوله : (له الحمد في الأولى والآخرة) وهو استدلال على انتفاء إلهية غيره بحجة أن الناس مؤمنهم وكافرهم لا يحمدون في الدنيا إلا الله . فاللام في له للملك ، وتقديم المجرور لإفادة الاختصاص . و " هذه الجملة أدمجت فيها المبالغة في المطابقة ، لأن انفراده سبحانه بالحمد في الآخرة ، – وهي الوقت الذي لا يُحمد فيه سواه – مبالغة في وصف ذاته بالانفراد بالحمد ، وهذه وإن خرج الكلام فيها مخرج المبالغة في الظاهر ، فالأمر فيها حقيقة في الباطن ، فإنه أولى بالحمد في الدارين ، ورب الحمد والشكر والثناء الحسن في المحلين حقيقة ، وغيره من جميع خلقه إنما يحمد في الدنيا مجازاً وحقيقة حمده راجعة إلى وليّ الحمد وهو الله تعالى " [2] .

(١) ينظر : إرشاد العقل ٤/ ٤٣٤. والتحرير والتنوير ١٨/ ١٣٠. وروح المعاني ٧/ ٢٦٨.

(٢) بديع القرآن ١٧٢. وتحرير التحبير ٤٥١. وينظر : الاتقان ٣/ ٢٦١ . ومعترك الأقران ١/ ٣٨٧.

والأولى أن يقال في هذه الآية " إنها من إدماج غرض في غرض ، فإن الغرض منها تفرده تعالى بوصف الحمد ، وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء " [١] .

٥- التجريد :

جَرَدَ الشيء يجردُه جرداً وجرّده : قشره [٢] فالتجريد مأخوذ من النزع والتقشير ، وأخذ الشيء عن الشيء ، وفي الاصطلاح: " أن يُنتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها فيه " [٣] .

***ومما ورد في القرآن العظيم **قوله تعالى:** ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فصلت : ٢٨] . الإشارة بـ (ذلك) إلى ما تقدم وهو الجزاء والعذاب الشديد على أسوأ أعمالهم ، و النار عطف بيان من جزاء أعداء الله ، ودار الخلد هي النار ؛ لكنه سبحانه وتعالى انتزع من جهنم داراً أخرى مثلها في الصفة هي دار الخلد (لهم فيها دار الخلد) جاء بالظرفية بتنزيل النار منزلة ظرف لدار الخلد ، وما دار الخلد إلا عين النار، وهذا من أسلوب التجريد ليفيد مبالغة معنى الخلد في النار [٤] .

*** **ومنه قوله تعالى:** ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] تجريد ، حيث جُرّدت من المخاطبين أمة أخرى للمبالغة في هذا الحكم كما يقال : لفلان من بنيه أنصار . والمقصود : ولتكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر حتى تكونوا أمة هذه صفتها . وهذا هو الأظهر فيكون جميع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد خوطبوا بأن يكونوا دعاة إلى الخير ، ولا جرم فهم الذين تلقوا الشريعة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مباشرة فهم أولى الناس بتبليغها

---

(١) الإتقان ٣/ ٢٦١. ومعترك الأقران ١/ ٣٨٧.

(٢) ينظر : اللسان ، مادة (جرد) ٣/ ١١٥.

(٣) ينظر : الإيضاح ٦/ ٥٤. والتلخيص ٣٦٨ . والمطول ٦٦٢.

(٤) ينظر : الكشاف ٤/ ٨٧. والبحر المحيط ٧/ ٤٧٤. ونظم الدرر ٦/ ٥٦٩. والدر المصون ٦/ ٦٥. وفتوح الغيب ١٣/ ٦٠٢.
وإرشاد العقل السليم ٥/ ٤٤٣. وحاشية زاده ٧/ ٣٨٣.

، وأعلم بمشاهدها وأحوالها[١] . يقول الرازي : من هنا ليست للتبعيض لدليلين : الأول أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة . والثاني : أنه ما من مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه [٢]

***ومنه قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ۝٧ ﴾ [الإسراء : ٧] في قوله : (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) جاء على طريق التجريد ، ولهذا عدّي باللام في الجملتين بأن جُرّد من نفس المحسن نفساً أو ذاتاً أخرى يحسن لها . فاللام لتعدية (أحسنتم) يقال : أحسنت لفلان .

وكذلك قوله : (وإن أسأتم فلها) فقوله (فلها) متعلق بفعل محذوف بعد فاء الجواب ، تقديره : أسأتم لها وليس المجرور بظرف مستقر خبرا عن مبتدأ محذوف يدل عليه فعل (أسأتم) لأنه لو كان كذلك لقال : فعليها [٣] .

*** ومنه قوله تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١ ﴾ [الأحزاب: ٢١] الآية عتاب لمن تخلف عن القتال ، أي كان لكم قدوة في النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق . وفي الآية تجريد ، والأسوة القدوة حيث جرّد لهم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأسوة للمبالغة في كونه – صلى الله عليه وسلم – قدوة شاخصة أمامهم فيقوى أثرها في أذهانهم ، وهذا يعطي ضرباً من المبالغة في وصفه – صلى الله عليه وسلم – بهذه الصفة ، أي : في كونه أهلاً لأن يقتدى به . ولو لم يرد التجريد لقال لقد كان لكم رسول الله قدوة ، فليس من معنى لحرف الجر هنا غير التجريد ، وهذا من أحسن مواقعه [٤] . والآية وإن سيقت للاقتداء به صلى الله عليه وسلم في أمر

---

(١) ينظر : روح المعاني ٢/ ٢٣٨. والتحرير والتنوير ٤/ ٣٨.

(٢) التفسير الكبير : ٤/ ٣٧٦.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١٥/ ٣٤.

(٤) ينظر : الكشاف ٣/ ٤٨٩. وروح المعاني ١١/ ١٦٤-١٦٥. وفتوح الغيب ١٢/ ٤٠٢. والتبيان ٢٩١. ومجمع البيان ٨/ ١٠٩.
والتحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٣. ومن أسرار التعبير القرآني . محمد أبو موسى ، ص : ١٥٧-١٥٨. مكتبة وهبة ط٢، القاهرة ، ١٤١٦هـ .

الحرب من الثبات ومقاساة الشدائد ونحوه فهي عامة في كل أفعاله – صلى الله عليه وسلم– .

***وفي قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٩] الباء على بابها وهي متعلقة بالسؤال ، والمراد بالخبير الله تعالى ويكون من التجريد ، كقولك : لقيت به أسدًا ، والمعنى فاسأل الله الخبير بالأشياء ، أو فاسأل بسؤاله خبيرًا كقولك : رأيت به أسداً أي برؤيته [١] . وسياق الآية إيحاء بدلالة التذكير بما لله تعالى من عظيم القدرة وما يلزمها من شمول العلم والحكمة البالغة ، ولما كان تدبير الملك أمرًا باهرًا أشار الله إليه بأداة التراخي (ثم) ، وعدل عن قول بينهن إلى بينهما ؛ لدلالته على المراد وهو الصنفين والنوعين والشيئين ولأن السياق يقتضي قوله : (الذي خلق السموات والأرض) مشيراً بلفظ (الرحمن) إلى دلالة الرفق والحض عليه والحاصل أنه أبدع هذا الكون وأخذ تدبيره بعموم الرحمة في إحسانه [٢] لمن ينكر فضله ويجحد نعمته ويكفرها .

" ولما كان العلم لازماً للملك ، سبب عن ذلك قوله على طريق التجريد : (فاسأل به خبيرا) أي بسبب سؤالك إياه خبيراً عن هذه الأمور ، وكل أمر تريده ليخبرك بحقيقة أمره ابتداء وحالاً ومآلا " [٣] .

٦- اللف والنشر :

ويسمى الطي والنشر ، في اللغة : لف الشيء يلفه لفاً جمعه وقد التف ، والطي : طوى الطي نقيض النشر طويته طياً . والنشر البسط [٤] . وفي الاصطلاح : كان المبرد من أوائل البلاغيين الذين التفتوا إلى هذا الفن وكان ذلك

(١) ينظر : الكشاف ٣/ ٢٦٦. وينظر : البحر المحيط ٦/ ٤٦٦. والدر المصون ٥/ ٢٦٠. وفتوح الغيب ١١/ ٢٧٣. ومجمع البيان ٧/ ٢٢٢

(٢) ينظر : نظم الدرر ٥/ ٣٣٢. وينظر : البحر المحيط ٦/ ٤٦٥-٤٦٦.

(٣) نظم الدرر ٥/ ٣٣٢ .

(٤) ينظر : لسان العرب مادة (لف) ٩/ ٣١٨. ولسان العرب مادة (نشر) ٥/ ٢٠٨. ولسان العرب ١٥/ ١٨.

في كتابه الكامل حيث قال : " والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كلٍ خبره [١] .

وعرّفه السكاكي فقال : " هو أن تلف بين شيئين في الذكر ، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرد كلاً منهما إلى ما هو له " [٢] .

وعرّفه الخطيب بقوله : " وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه " [٣] . وينقسم اللف والنشر إلى قسمين :

١- اللف المفصل والنشر المفصل ، وهذا القسم ينقسم إلى نوعين :

الأول : لف مفصل ونشر مرتب ، وهو أن تذكر الأشياء المتعددة مفصلة ، ثم يذكر ما يتصل بها على سبيل الترتيب من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه .

والثاني : لف مفصل ونشر غير مرتب ، وهو أن تذكر الأشياء المتعددة مفصلة ، ثم يذكر ما يتصل بها ، ولكن لا على سبيل الترتيب ، فقد يكون الأول للثاني والثاني للأول ، والسامع هو الذي يرد كل شيء إلى ما يناسبه

٢- اللف المجمل والنشر المفصل ، وهو ذكر الأشياء المتعددة على سبيل الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد منها من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرده إليه .

***ومما ورد في كتاب الله **قوله تعالى**: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٧] . الكلام في هذه الآية يتعلق

(١) ينظر : الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ١/ ١٠٣، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

(٢) مفتاح العلوم ، ص ٥٣٤

(٣) الايضاح ٦/ ٤٢.والتلخيص ٣٦١. وينظر : المطول ٦٥٤.

ببعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالصيام ، من ذلك بداية وقت الإمساك والإفطار ، ولذا وجد في الآية كلمتان هما (الخيط الأبيض) و (الخيط الأسود) ، ثم ذكر ما يقابل الكلمة الأولى فقال : (من الفجر) وهو يقابل الخيط الأبيض ، وأضمر ما يقابل الكلمة الثانية وهي (الخيط الأسود) وتقديره من الليل ، أي : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض الفجر من الخيط الأسود الليل . وجاء هذا الكلام على طريقة اللف والنشر المرتب المضمر أحد جزأيه وهو نوع جديد من أنواع النشر .

وتشبيه الفجر الصادق بالخيط الأبيض والفجر الكاذب بالخيط الأسود جاء ليقرب المعنى ويجعله متمكناً لدى السامع ، فأسلوب اللف والنشر أُستخدم في هذه الآية لتقريب الصورة للمؤمنين ، وتمكين المعنى المراد عندهم ليكون ذلك أدعى في تطبيق المعنى المراد تطبيقاً صحيحاً .

وللسيوطي رأي آخر في هذه الآية وهو : أنه يمكن أن يكون اللف هنا مفصلًا (الخيط الأبيض و الخيط الأسود) ثم جاء النشر بعد ذلك مجملاً (من الفجر) مجمل للفجر الصادق الثاني الذي يقابل الخيط الأبيض ومجمل للفجر الكاذب الأول الذي يقابل الخيط الأسود على طريقة اللف المفصل والنشر المجمل ، وهو عكس اللف المجمل . قال السيوطي وهذا نوع غريب لم أر من نبه عليه [١] . ومجيء (حتى) غاية للتبين ، وجيء في الغاية بـ (حتى) وبـ (يتبين) للدلالة على أن الإمساك يكون عند اتضاح الفجر للناظر وهو الفجر الصادق ، ثم قوله : (حتى يتبين) تحديد لنهاية وقت الإفطار بصريح المنطوق . ومن الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية [٢] .

***ومنه ما يجيء على الترتيب ، **كقوله تعالى:** ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾ [الدخان : ٣-٤] تبدأ السورة بالحديث عن القرآن وتنزيله في ليلة مباركة عظيمة فيها يفرق كل أمر حكيم ، رحمة من الله بالعباد وإنذاراً لهم وتحذيرًا.

(١) ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار ، للسيوطي ، تحقيق أحمد الحمادي ١/ ٤٠٤-٤٠٥، ، ط١، إصدار وزارة الأوقاف ، قطر .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢/ ١٨٣.

وفي هذه الجمل محسن اللف والنشر ، ففي قوله : (إنّا أنزلناه في ليلة مباركة) لف بيّن معنيين ، أولهما : تعيين إنزال القرآن ، وثانيهما : اختصاص تنزيله في ليلة مباركة ، ثم ذكر سبحانه ما يقابل كلاً منهما فقال: (إنّا كنا منذرين) أي بالقرآن وهذا يناسب قوله : (إنا أنزلناه) ثم قال : (فيها يفرق كل أمر حكيم) وهذا يناسب قوله : (ليلة مباركة) وهي ليلة القدر (فيها يفرق كلُّ أمرٍ حكيم) .

وقد بدئت جملة اللف بإنّ للتأكيد على أهمية القرآن الكريم وأهمية ليلة القدر ، ثم جاءت جملة النشر وبدئت بحرف التوكيد إنّ ففصلت اللف وأكدت على ما جاء فيه من أهمية للقرآن الكريم وليلة القدر ، فالقرآن الكريم فيه النذارة ، وليلة القدر فيها تفريق أمور العباد ، فأكد اللف والنشر هذا المعنى ورسخه في الذهن .

*** **ومنه قوله تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص : ٧٣] في الآية لف ونشر مرتب ، فقد جمع بين الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدان، ثم مجيء السكون لليل والحركة وابتغاء الرزق للنهار في عجز الكلام وهما ضدان ، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ الإرداف وهو الابتغاء ؛ لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة [١] .

والآية سيقت للاعتداد بالنعم وتصريح بنعمة تعاقب الليل والنهار ، آيتين عظيمتين دبر فيهما وبهما جميع مصالحكم ، وادخر معظم رحمته إلى الآخرة محا آية الليل لتسكنوا فيه ، وجعل آية النهار مبصرة لتبتغوا من فضله كناية عن العمل والطلب لتحصيل الرزق .

والعطف على العلتين رجاء شكرهم على شكرهم على هاتين النعمتين اللتين هما من جملة رحمته بالناس ، فالشأن أن يتذكروا بذلك مظاهر الرحمة الربانية وجلائل النعم فيشكروه بإفراده بالعبادة [٢] .

---

(١) ينظر : بديع القرآن ٧٣. وتحرير التحبير ١٧٩.

(٢) ينظر : نظم الدرر ٥/ ٥١٥. ومفتاح العلوم ٥٣٤. والإيضاح ٦/ ٤٣. والتلخيص =

يقول الزمخشري : " زاوج بين الليل والنهار ؛ لأغراض ثلاثة : لتسكنوا في أحدها وهو الليل ، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ، ولإرادة شكركم .

وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذاناً بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده "[١] .

*** ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٣]

هذه الآية ابتدائية " لإفادة عظمة الله تعالى ، وسعة علمه ، فلعظمته جلّ أن يحيط به شيء من أبصار المخلوقين ، فعموم النكرة في سياق النفي يدل على انتفاء أن يدركه شيء من أبصار المبصرين في الدنيا . وفي ذلك تعريض بانتفاء الإلهية عن الأصنام التي هي أجسام محدودة ، فكونها مدركة بالأبصار من سمات المحدثات لا يليق بالإلهية ، ولو كانت آلهة لكانت محتجبة عن الأبصار . ولذا جاء اللف في الآية مؤكدًا بيان مخالفة خصوصية الإله الحق عن خصوصيات آلهتهم " [٢] .

وفي الآية كلام متعدد وهو قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) ، وقوله: (وهو يدرك الأبصار) ثم ذكر ما يقابل كلًا فقال : (اللطيف) وهو يقابل الأولى (لا تدركه الأبصار) ، ثم قال : (الخبير) وهو يقابل الثانية (وهو يدرك الأبصار) ففيه لف ونشر مرتب .

=

٣٦٢. والمطول ٦٥٤. والتحرير والتنوير ٢٠/ ١٧١. وبديع القرآن ٧٣. وتحرير التحرير ١٧٩.

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٣.

(٢) التحرير والتنوير ٧/ ٤١٣-٤١٤.

" وهو اللطيف يلطف عن أن تدركه الأبصار ، الخبير بكل لطيف ، فهو يدرك الأبصار التي لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللف " [١] وهو من ذكر المتعدد على جهة التفصيل والترتيب [٢] .

ومعنى نفي إدراك الأبصار للشيء يناسب اللطف ، " لأن المعهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة ، كالهواء وسائر العناصر ، ولا الجواهر المفردة ، وإنما يدرك اللون من كلّ متلون ، والكون من كل متكون ، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به على الغائب على الشاهد .

وكذلك (وهو يدرك الأبصار) فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة؛ فإنه سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار ،أي ألباب الأبصار التي نفى عنها إدراكه تكميلاً للمدح حسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدّح واحتراسًا ممن يظن أنه إذا لم يكن مدركاً لم يكن موجودًا ، فوجب أن تقول : (وهو يدرك الأبصار) لتثبت لذاته الوجود وزيادة ، ثم عطف على الأول والثاني (وهو اللطيف الخبير) ليناسب معنى آخر الكلام أوله ، وعجزه صدره ، ورجح لفظ (الخبير) على لفظة (البصير) لما فيها من الزيادة على الإبصار والإدراك إذ ما كل من أبصر شيئًا أو أدركه كان خبيرًا به ، فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائدًا على معنى الكلام وصفت لأجله بالإيغال ، وهو إيغال متمّم لمعنى المدح " [٣] .

وقد أشار الطيبي في تفسيره إلى هذه الآية حيث يقول : " ذكر إدراكه الأبصار والتلويح إلى المحافظة التامة لئلا يسترق المرائي النظر إلى الخالق، وفي ذكر اللطيف الخبير الرمز إلى المراقبة الكاملة لجنبات الصدور ، وخفيات الهواجس ليكون المريد واقفاً على مواقف الإخبات والخضوع آخذاً أهبة الحذر عن الشرك الخفي" [٤] .

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٢. البحر المحيط ٤/ ١٩٩. وإرشاد العقل ٢/ ٤٢٤. وفتوح الغيب ٦/ ٢٠١. والتبيان ٣٥٤

(٢) ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٨٠.

(٣) بديع القرآن ١٤٦. وتحرير التحبير ٣٦٣.

(٤) فتوح الغيب ٦/ ٢٠٠-٢٠١.

ومجيء جملة اللف خبرية لإعلام المخاطبين بنفي إحاطة الأبصار لله ، وإثبات إحاطته سبحانه للأبصار ، وكذلك جملة النشر (وهو اللطيف الخبير) جملة خبرية تتضمن الثناء والتعظيم لله سبحانه وتعالى . كذلك ساهم طباق السلب في جملة اللف بين الإدراك المنفي والإدراك المثبت على بيان عظمة الله وقدرته وسعة علمه وإحاطته بكل شيء .

*** **وقد يجيء اللف على غير ترتيب** كما في قوله **تَعَالَى:** ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٤٧-١٤٨] وهو أن تذكر الأشياء المتعددة مفصلة ، ثم يذكر ما يتصل بها ، ولكن لا على سبيل الترتيب ، فقد يكون الأول للثاني والثاني للأول ، والسامع هو الذي يرد كل شيء إلى ما يناسبه .

وهنا لف مفصل على غير ترتيب ، فقد ذكر الله في هذه الآيات دعاء المؤمنين ، وأنهم جمعوا في دعائهم بين أمري الدنيا والآخرة فقال تعالى : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) وهذا من أمر الآخرة ، ثم قال : (وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا من أمر الدنيا ، ثم جاء الجواب من عند الله ، لكنه ليس مرتباً على ترتيب اللف حيث قدم جزاء الدنيا على جزاء الآخرة فقال : (فآتاهم الله ثواب الدنيا) وهذا جزاؤهم في الدنيا ، ثم قال (وحُسْنَ ثواب الآخرة) وهذا جزاؤهم في الآخرة .

عندما ذكر الله تعالى دعاء المؤمنين أثار هذا الدعاء انتباه السامع وجعلته يشتاق إلى ما سيحصل لهم بعد ذلك ، فجاء الجواب من الله على طريقة النشر بعد اللف (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) فحصل في اللف إثارة وتنبيه للسامع وتشويق لسماع ما سيذكره بعده وأخروا ما للدنيا (وثبت أقدامنا وانصرنا) وهذا متعدد ثم جاء النشر على غير ترتيب اللف حيث قدّم ثواب الدنيا على ثواب الآخرة .

ولعل السرَّ في ذلك يرجع إلى أن المقام مقامُ جهادٍ وقتال ، والنفوس في هذا المقام متطلعةٌ للنصر ، وفي هاتين الآيتين عبرة بما سلف من صبر أتباع

الرسل والأنبياء عند إصابة أنبيائهم أو قتلهم في حرب . وقد خص ثواب الآخرة بالحسن دون ثواب الدنيا إيذانًا بأنه المعتد به عند الله تعالى[١]. يقول أبو حيان : " ولما تقدم في دعائهم ما يتضمن الإجابة فيه الثوابين وهو قولهم : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا) فهذا يتضمن ثواب الآخرة . (وثبت أقدامنا وانصرنا) يتضمن ثواب الدنيا ، أخبر تعالى أنه منحهم الثوابين ، وهناك بدؤوا في الطلب بالأهم عندهم ، وهو ما ينشأ عنه ثواب الآخرة ، وهنا أخبر بما أعطاهم مقدماً ذكر ثواب الدنيا ليكون ذلك إشعاراً لهم بقبول دعائهم ، وإجابتهم إلى طلبهم ، ولأن ذلك في الزمان متقدم على ثواب الآخرة " [٢]

***ومنه نوع آخر لم يشر إليه الخطيب ، وذكره الزمخشري ، ويأتي فيه النشر فاصلًا بين أجزاء اللف كما **في قوله تعالى:** ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الروم : ٢٣] ، وترتيبه : (ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله) وهذا هو اللف ، ثم نشر هذا اللف بقوله : (بالليل والنهار) ، فالليل يناسب (منامكم) ، والنهار يناسب (وابتغاؤكم من فضله) ، " إلا أنه فصل بين القرينتين الأوليين بالقرينتين الأخريين ؛ لأنهما زمانان ، والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد " [٣] . وقال الألوسي : " ولا يأبى ذلك توسيط الليل والنهار لأنهما في نية التأخير وإنما وسطا للاهتمام بشأنهما " [٤] . " وخص قوله : (منامكم) بالليل .

و(ابتغاؤكم) بالنهار بالسمع ؛ لأن أكثر الناس منسدحون بالليل كالأموات ومترددون كالبهائم بالنهار ، لا يدرون فيم هم ولم ذلك ، لكن من ألقى السمع وهو

---

(١) إرشاد العقل : ٢/ ٤٦.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٨١.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٣٥. وينظر : التبيان ٤٠٠. وفتوح الغيب ١٢/ ٢٢٨. والبلاغة القرآنية ٥٨٠. ودراسات منهجية ٢٢٨.

(٤) روح المعاني ٢١/ ٣٣.

شهيد يتنبه لواعظ الله ويصغي إليه ؛ لأن مرّ الليالي وكرّ النهار يناديان : الرحيل من دار الغرور إلى دار القرار" [١] .

***قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧] الجمهور على أن ابيضاض الوجوه واسودادها على حقيقة اللون والبياض من النور والسواد من الظلمة وفي تعريف هذا اليوم بحصول بياض وجوه وسواد وجوه فيه تهويل لأمره وتشويق لما يرد بعده من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة والوجوه المسودة ترعيباً لفريق وترغيباً لفريق ، وعليه ففي الآية لف ونشر غير مرتب ، فقد ذكر في اللف الابيضاض قبل الاسوداد ، وذكر النشر حكم من اسودت وجوههم قبل حكم من ابيضت وجوههم

وبلاغة اللف والنشر هنا تكمن في أنه عند وصف اليوم ذكر البياض الذي هو شعار أهل النعيم تشريفًا لذلك اليوم بأنه يوم ظهور رحمة الله ونعمته ، ولأن رحمة الله سبقت غضبه ، ولأن في ذكر سمة أهل النعيم عقب وعيد غيرهم بالعذاب حسرة عليهم ، إذ يعلم السامع أن لهم عذابًا عظيمًا في يوم فيه نعيم . ثم قدّم في التفصيل ذكر سمة أهل العذاب تعجيلًا بمساءتهم وللاهتمام بالتحذير من حالهم ولمجاورة قوله (تسود) وللابتداء بالمؤمنين والاختتام بحكمهم [٢] .

وتأمل تفاوت ما بين القسمين ، هناك جمع لمن اسودّت وجوههم بين التعنيف بالقول والعذاب ، وهنا جعلهم مستقرين في الرحمة ، فالرحمة ظرف لهم ، وهي شاملتهم ، ولما أخبر تعالى أنهم مستقرون في رحمة الله بيّن أن ذلك الاستقرار هو على سبيل الخلود لا زوال منه ولا انتقال ، وأشار بلفظ الرحمة إلى سابق عنايته بهم

وأن العبد وإن كثرت طاعته لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى ، وذكر الخلود للمؤمن ولم يذكر ذلك للكافر إشعاراً بأن جانب الرحمة أغلب ، وأضاف

---

(١) فتوح الغيب ١٢/ ٢٤١.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٣/ ٢٥- ٢٦. والتفسير الكبير ٤/ ٣٨١. والتحرير والتنوير ٤/ ٤٤-٤٥.

الرحمة هنا ولم يضف العذاب إلى نفسه بل قال : (فذوقوا العذاب) ولما ذكر العذاب علله بفعلهم ولم ينص هنا على سبب كونهم في الرحمة .

وقال الزمخشري : " فإن قلت كيف موقع قوله (هم فيها خالدون) بعد قوله (ففي رحمة الله ؟ قلت : موقع الاستئناف كأنه قيل : كيف يكونون فيها، فقيل : هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون " [1]

*** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾[الضحى: ٦-١١]

الآيات لمسةٌ من حنان ، ونسمةٌ من رحمة ، وطائفٌ من ودّ ، ويدٌ حانيةٌ تمسحٌ على الآلام والمواجع ، وتنسمُ بالروح والرضا والأمل ، وتسكبُ البردَ والطمأنينة واليقين . والآية تعدادٌ لنعم الله تعالى على رسوله – صلى الله عليه وسلم – وتقرير لها وتذكير بحال الآخرين ، وهذا التقرير والتذكير مما يمكن المعنى المقرر والمذكر به في النفس ويجعله راسخًا لا يذهب بسهولة .

وقد قوبلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل بثلاثة أعمال تقابلها ، فيجوز أن يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب شريطة أن يكون المراد بالسائل هنا السائل عن الدين والهدى [2]. وعلى هذا يكون قوله : (فأما اليتيم فلا تقهر) مقابل لقوله: (ألم يجدك يتيماً فآوى) ومتعلق به ، فإذا كان الله آواك في يتمك فلا تقهر اليتامى، بل أكرمهم وأحسن إليهم .

وقوله : (وأما السائل فلا تنهر) مقابل قوله : (ووجدك ضالاً فهدى) ومتعلق به ؛ لأن الضلال يستعدي السؤال عن الطريق الحق طريق الدين والعلم . وقوله : (ووجدك عائلاً فأغنى) مقابل قوله : (وأما بنعمة ربك فحدث) ومتعلق به ، لأن الإغناء نعمة من الله ، فأمره الله أن يظهر نعمته عليه بالحديث عنها

(١) الكشاف ٤/ ٣٧٤. وينظر : البحر المحيط ٣/ ٢٨. والتفسير الكبير ٤/ ٣٨٣.
(٢) ينظر : الكشاف ٤/ ٦٠٠. والبحر المحيط ٨/ ٤٨٢. وإرشاد العقل ٦/ ٤٤١. وفتوح الغيب ١٦/ ٤٨٦-٤٨٨.

وإعلان شكرها ، لا افتخارًا بها على الخلق وتكون النعمة هنا للجنس ، وعلى هذا جاء النشر على ترتيب اللف [١] .

فإنْ فُسر (السائل) بسائل المعروف ومستعطي المال [٢] كان مقابل قوله : (ووجدك عائلاً فأغنى) وكان من النشر المشوش ، أي المخالف لترتيب اللف [٣] ، وكان قوله : (وأما بنعمة ربك فحدث) مقابل قوله : (ووجدك ضالاً فهدى) على طريقة اللف والنشر المشوش أيضاً [٤] .

وإنما قدّم جَلّ جلاله اليتيم والسائل على الضال من باب التذكير بالأهم دفعًا للحرص على الإحسان فقد ذاق – صلى الله عليه وسلم – اليتم والفقر ، وعلم ما فيهما من شدة وضيق وحرمان ، والإحسان بهم الأولى في حقه ، ومن ثم في حق أمته ، وقد انعكست هذه الآيات التوجيهية ، وما كان على شاكلتها على نفسه الطاهرة – صلى الله عليه وسلم – فكان أجود الناس عطاء ، وأكرمهم لليتيم ، وأبعدهم عن قهره وكسر خاطره وإذلاله وأعطفهم على الفقير وأدعاهم إلى إغنائه مع الرفق به والكرامة ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى ، وبغية لشكره على نعمائه.

٧- التقسيم :

أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه [٥] . ولعل أول الإشارات التي نبهت على هذا اللون ما رواه الجاحظ من أنهم أنشدوا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – شعراً لزهير ، فلما انتهوا إلى قوله :

فإنّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِيْنٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءُ

ردّدَ عمر – رضي الله عنه – البيت كالمتعجب من علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها [٦] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠٢.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٨/ ٤٨١. وفتح القدير ٤/ ٥١١.

(٣) ينظر : الكشاف ٤/ ٦٠٠

(٤) ينظر : روح المعاني ١٥/ ٣٨٤. والتحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠٣.

(٥) ينظر : كتاب الصناعتين ٣٧٥.

(٦) ينظر : البيان والتبين ، للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ١/ ٢٤٠، دار الجيل ، بيروت ، د. ط ، د. ت .

ويُعد قدامة بن جعفر أول من تناول هذا الفن البديعي تناولاً منظماً منهجياً ، وقد أطلق عليه (صحة التقسيم) [١] .

وقد جرى أغلب النقاد والبلاغين على هذا المصطلح دون اللجوء إلى مصطلح آخر [٢] ما عدا العلوي فقد أطلق عليه مصطلح الاستيعاب [٣] . وأسلوب التقسيم من عوامل ترابط الأسلوب واتحاد أجزائه فأوله متصل بآخره ، وآخره مرتبط بأوله ، ولذلك جعله الشيخ عبد القاهر من النظم الذي يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع ، وترى فيه أجزاء الكلام متحدة ومتداخلة ، ويشتد ارتباط ثان بأول [٤] .

*** ومن لطيف ذلك **قوله تَعَالَىٰ:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الرعد : ١٢] البرق والرعد والسحاب مشاهد معروفة وكذلك الصواعق التي تصاحبها في بعض الأحيان ، وهي مشاهد ذات أثر في النفس ، والسياق يحشدها هنا لتلقي ظلالها على المشهد ، وتلفه في جو من الرهبة والترقب والخوف والطمع والضراعة والارتجاف في سياق تصوير سلطان الله المتفرد بالقهر والنفع والضر .

والتقسيم الذي رشح المطابقة بين الخوف والطمع يؤكد هذه الحقيقة ، " إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين " [٥] ، وتقديم الخوف على الطمع لأن الصواعق تقع من أول برقة

---

(١) ينظر : نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، ص : ١٣٩، ط٣، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

(٢) ينظر : سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، ص: ٢٢٦، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

وجوهر الكنز ١/ ١٢٩. ونهاية الإيجاز ١٧٧. والإشارات والتنبيهات ٢٥١. وبديع القرآن ٦٥.

(٣) ينظر : الطراز ٤٥١.

(٤) ينظر : دلائل الإعجاز ٩٣-٩٤.

(٥) بديع القرآن ٦٥. وتحرير التحبير ١٧٣. وينظر : التبيان ٤١٢. والإتقان ٣/ ٢٦٧. ومعترك الأقران ١/ ٣٩٤. والمثل السائر ٣/ ١٦٧.

برقة ، وهي سبب الخوف ، أما المطر فلا يحصل إلا بعد توافر البرقات ، وهو سبب الطمع فلما كان الأمر المخوف من البرق يقع من أول برقة قدم ذكر الخوف ، ولما كان الأمر المطمع منه يأتي ناسخاً للخوف ومبدداً له أخر ذكر الطمع ليكون الفرج بعد الضيق واليسر بعد العسر ، والأمن بعد الخوف ، فما من ريب في أن هذا يكون أوقع في النفوس وأبلغ حيث تطمئن بالبشرى وبحسن العاقبة [١] .

*** وتأمل قوله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ [البقرة : ٣-٤] وانظر إلى ما أحدثه التقسيم من بيان صفات المتقين السابقين الخلص وأوصافهم الكاملة التي يستحقون بها كامل الهدى والفلاح ، تلحظ أن الآية الثالثة " استوعبت جميع الأوصاف المحمودة ، إذ وصف المؤمنون فيها بجميع العبادات البدنية والمالية ، الظاهرة والباطنة فقوله : (يؤمنون بالغيب) إشارة إلى عبادة الباطن ، لأن الإيمان التصديق ، وهو من أعمال القلوب ، وقوله : (ويقيمون الصلاة) تصريح بعبادة الظاهر ، وقوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون) إشارة إلى العبادة المالية ، فاستوعبت جميع الأقسام على الترتيب ، حيث قدّم عبادة الباطن على عبادة الظاهر ، وعبادة البدن على عبادة المال ، مع وصفه سبحانه لهم بالنزاهة عن جميع أوصاف الكسب المذمومة ..

وأما الآية الرابعة فاستوعبت جميع أقسام الزمان ، فإن إيمان هؤلاء المؤمنين بما أنزل إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – إيمان في الحال ، وبما أنزل من قبله إيمان في الماضي ، وإيقانهم بالآخرة إيمان في الاستقبال ثم زاد إيمانهم بالآخرة وصفاً إذ أخبر أنه إيمان متيقن ليدل على قوة تصديقهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – ووثوقهم بأن ما أخبر بوقوعه سيقع يقيناً لا شك فيه ولا شبهة " [٢] .

---

(١) ينظر : بديع القرآن ٦٥. وتحرير التحبير ١٧٣.

(٢) بديع القرآن ٦٩-٧٠.

***ومنه قوله تَعَالَى:﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الروم : ١٧-١٨] الآية تربط التسبيح والحمد بالأوقات : الإمساء والإصباح والعشي والإظهار ، كما تربطها بآفاق السموات والأرض ، فيتقصى بهما الزمان والمكان ، وتربط القلب البشري بالله في كل بقعة وفي كل آوان ، ويشعر بتلك الرابطة في الخالق مع هيكل الكون ودورة الأفلاك وظواهر الليل والنهار والعشي والإظهار . وقد استوعبت الآية أقسام الأوقات من طرفي كل يوم وليلة ووسطها فصحت أقسام أجزاء الطرف الزماني وجهتي العلو والسفل من الطرف المكاني .

" وهذه الآية من أعجب ما وقع فيه مقابلة من الكلام ، لأنك إذا جعلت كل ضد منها مقابلاً في طرف من طرفها كانت مقابلة بالموافق ، فإن المساء موافق للعشي لا مخالف ، والإصباح موافق للإظهار لا مخالف ، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد من الموافق والمخالف ، فإن جعلت مقابلتها بالأضداد كان ما فيها طباقاً لا مقابلة ، لأن المساء ضد الصباح ، والعشاء ضد الظهر ، وليست جملة الطرف الثاني مقابلة لجملة الطرف الأول إلا مع العدول عن الترتيب ، فإنك تقابل المساء بالإظهار والعشي بالإصباح ، لأن العشي اسم لأول الليل ، والإصباح اسم لأول النهار " [1] .

***وقوله تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩١]

يوجه القرآن الكريم القلوب الذاكرة العابدة ، والأنظار الواعية المتفكرة توجيها مكرراً ومؤكداً إلى هذا الكون الفسيح ، خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، لإدراك حقائقه الكبرى ، ينظرون في ذلك بطريق الفكر والاستدلال ، ويتوجهون إلى الله بقلوبهم وهيئاتهم وعموم أحوالهم الثلاثة المعهودة : قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ، فتتفتح بصائرهم ، وتشف مداركهم ، وتتصل بحقيقة الكون التي أودعها الله إياه ، فتدرك غاية وجوده وعلة نشأته وقوام فطرته بالإلهام الذي

(١) بديع القرآن ٦٦.

يصل بين القلب البشري ونواميس هذا الوجود فتطلق ألسنتهم بالتسبيح والتنزيه لخالق هذا الكون الفسيح ، ومن ثم تكون الحصيلة المباشرة للحظة الواصلة ، ربنا ما خلق هذا باطلاً [١].

*** وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى : ٤٩-٥٠]

الآية سيقت لبيان حال العباد الذين شأنهم الولادة ، وللاعتداد بالنعم ، ومن مظاهرها المنح والمنع والعطاء والحرمان ، والنفس البشرية شديدة الحساسية بها . والتقديم بأن لله ملك السموات والأرض هو التقديم المناسب لكل جزيئة بعد ذلك ، ولما أخبر بانفراده بالملك دل عليه بقوله (يخلق) أي على سبيل التجدد والاستمرار ما تقتضيه مشيئته ، فإما أن يُفرد العبد بهبة الإناث أو بهبة الذكور ، أو يجمعهما له ، أو لا يهبه شيئاً ، فقد وقع التقسيم مستوفياً في هذه الآية على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ، وهو الانتقال في النظم من الأدنى إلى الأعلى ، فقدم هبة الإناث لينتقل منها إلى أعلى منها ، وهي هبة الذكور ، ثم انتقل إلى أعلى منها وهي هبة المجموع الإناث والذكور ، فجاءت الثلاث الأول بلفظ الهبة ، وأفرد معنى الحرمان بالتأخر لأنه إنعامه وإفضاله على عباده في هذا المقام أهم من حرمانه إياهم ، وتقديم الأهم أولى . وقال في معنى الحرمان (ويجعل) عادلًا عن لفظ الهبة لتأتي الألفاظ ملائمة للمعاني [٢] . وقدّم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ؛ لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ، ثم عقب ذلك بذكره ملكه ومشيئته ، وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث ، لأن سياق الكلام على أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهم ،

(١) ينظر : الكشاف ١/ ٤٢٢. والبحر المحيط ٣/ ١٤٥. وإرشاد العقل ٢/ ٨٢. ومجمع البيان ٢/ ٣٧٦ .

(٢) ينظر : بديع القرآن ٦٨. وتحرير التحبير ١٧٦. ومعترك القران ١/ ٣٩٥. والإتقان ٣/ ٢٦٧.

والأهم واجب التقديم ، وَلِيَلِيَ الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه إياهم ، لأن التعريف تنويه بالذكر ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذي لا يخفون على أحد ، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير ، وعرّف أن تقديم الإناث لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتض آخر فقال : ذكرانًا وإناثًا [١] .

٨- **الجناس:** والتجنيس والمجانسة كلها ألفاظ مشتقة من الجنس ، يقال : تجانس الشيئان إذا دخلا تحت جنس واحد ، وتشاكلا ، ويقال : كلمتان متجانستان أي : شابهت إحداهما الأخرى [٢] .

يقول ابن الأثير : " وحقيقته أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً"[٣]. ويقول العلوي بعبارة أشمل وهو " على تنوعه عبارة عن اتفاق اللفظين في وجهٍ من الوجوه مع اختلاف معانيهما " [٤] .

وعرّفه الخطيب بقوله : " هو تشابههما في اللفظ " [٥] وهو الأقرب للصواب مع اختصاره [٦] .

ولعل أَوّلَ العلماء الذين درسوا وظيفة الجناس الفنية هو عبد القاهر ، فقد ربطها بالتأثير النفسي للمتلقي وبنظريته في النظم ؛ حيث وضح أن الجناس المقبول هو الذي يضيف جديداً إلى المعنى ، ولا يكون على حساب الصورة فهو تعبير فني يكسب الكلام قيماً جمالية بما يضيفه إلى النسق اللغوي من انسجام وتآلف وتناسب في البناء الصوتي يثري المعنى ويغني الصياغة اللغوية [٧] .

---

(١) ينظر : الكشاف ٤/ ١١٨-١١٩. وأنوار التنزيل ٢/ ٣٦٦. وفتوح الغيب ١٤/ ٨٤. وحاشية زاده ٧/ ٤٤١.
والمثل السائر ٢/ ١٨٥. وخصائص التعبير القرآني ٢/ ١٣٣.
(٢) ينظر : لسان العرب – مادة (جنس) ٦/ ٤٣.
(٣) المثل السائر ١/ ٢٦٢.
(٤) الطراز ٣٧٢.
(٥) الإيضاح ٦/ ٩٠. وينظر : التلخيص ٣٨٨.
(٦) خصائص التعبير القرآني ٢/ ٤٣٦.
(٧) ينظر : أسرار البلاغة ١٠- ١٨. وبلاغة البديع في جزء عم ٢٤٣.

ويُعد الجناس من أبرز المظاهر البديعية التي تحقق انسجاماً في البنية الشكلية من خلال الاتفاق والتماثل والتشابه بين وحدتين صوتيتين تحدث إيقاعاً موسيقياً ونغماً متشابهاً في الشكل مختلفاً في الدلالة إذ أنه يعمل على " المستويين الخارجي والداخلي في حركة تحويلية تنطلق من اللفظ نحو المعنى "[١] .

وقد صنف البلاغيون الجناس إلى أقسام متشعبة وأنواع متعددة يندرج تحت كل قسم منها تفريعات وملحقات متعددة أحصاها بعض الباحثين حتى وصلت إلى ما يقارب الخمسين نوعا [٢] .

وهي تقسيمات تتسم بالطابع المنطقي ناجمة عن عناية البلاغيين المفرطة بالجوانب الشكلية دون الالتفات إلى الإيقاع الموسيقي للألفاظ المتجانسة وما تحدثه من أثر نفسي لدى المتلقي وتأسيسًا على ذلك فإن دلالة الجناس تنبعث من اتفاق وتشابه دالّين مقابل مدلولين مختلفين ، وهو بذلك يعمل على ربط اللفظ بالمعنى ويتجلى الربط بين المستويين الصوتي والدلالي من خلال توظيف التكوينات الموسيقية بإعادة تشكيلها وتنظيمها بألوان متجددة [٣] . ولذا سأقتصر في الدراسة هنا على الجناس ، ولا تهمنا أقسامه بقدر ما يهمنا وروده في القرآن الكريم . ووظيفته في جمال التعبير ومن ذلك :

*** قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الروم : ٥٥] لما ذكر عدم انتفاع المشركين بآيات القرآن وشبهوا بالأموات والصم العمي فظهرت فظاعة حالهم في العاجلة أتبع ذلك بوصف حالهم حين تقوم الساعة في استصحاب مكابرتهم التي عاشوا عليها في الدنيا [٤] . وهذه الآية تعبر عن حال هؤلاء المجرمين في

(١) البديع دراسة في البنية والدلالة : ١٧١. عزة محمد جدوع ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

(٢) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/ ٤١٤.

(٣) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/ ٤١٤.

(٤) ينظر : نظم الدرر ٥/ ٦٤٣. والتحرير والتنوير ٢١/ ١٢٨.

استقصارهم مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور ، فحلفوا وهم يظنون أن حلفهم مطابق للواقع [١] .

ونهض الجناس التام في هذه الآية بتكثيف الإيقاع بشقيه الصوتي والدلالي ، فجاءت كلمة (الساعة) الأولى دالة على يوم القيامة ، وقد وقع الاختيار على هذه اللفظة لما فيه من معنى السرعة والمفاجأة في حين أن كلمة (ساعة) الثانية عبرت أدق تعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها هؤلاء المجرمون وإحساسهم بقيمة الوقت الذي أدركوه بعد فوات آوانه ؛ لأن الوقت الذي قضوه في حياتهم الدنيا لا يمكن أن يوصف ببرهة أو دقيقة فجاءت كلمة (الساعة) الثانية خير دليل على شعورهم هذا .

كذلك طغى في الآية الجو الصوتي للحروف على جانبها الدلالي فصوت (السين والعين) وما ولّدته هذه الحروف من تناغم كشف للمتلقي قدرة لغوية على التوزيع ملتصقاً بالدلالة الموحية التي تحملها هذه المفردات دون تكلف أو صنعة أو زينة . فلو قيل : ويوم تقوم القيامة يقسم المجرمون ما لبثوا غير وقت يسير لما قورن بما جاءت عليه الآية ؛ لأن التغيير هنا يحرم السامع من تلك القيمة الصوتية والتناسب اللفظي العذب والإيقاع المؤثر .

ولا ريب في أن تجانس اللفظين في الآية وتلاؤمهما قد أحدث ميلاً وإصغاء إليها ؛ " لأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوف إليه " [٢] زيادة على ما يخلقه أسلوب التكرار من إيقاع وقيمة فنية .

***وقوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور : ٣٧] في الآية جناس اشتقاق بين (تتقلب و القلوب) وهو من قبيل المناسبة بين حروف الكلمتين ، ومع اختلاف أوضاع الحروف ؛ إلا أنه ظل الاشتراك في المعنى بينهما قائماً ، وهو التغير والتبدل " فجونس بالقلوب التقلب ، والأصل واحد ، فالقلوب تتقلب

(١) ينظر : فتح القدير ٣/ ٣٨٤. وأساليب البديع ١٢٨.

(٢) شروح التلخيص ج٤/ ٤١٣ . وينظر : جواهر الكنز ص ٩١. ومحاولات التجديد في البلاغة العربية ٣٢٩-٣٣٠. والمظاهر البديعية ٣٤١

بـالخواطر ، والأبصـار تتقلـب فـي المنـاظر ، والأصـل التصـرف " [١] . وتتبـدى بلاغـة الجنـاس هنـا فـي أن اللفظتين الكريمتين تـدلان علـى التقلـب والتغيـر ، ممـا يدل على الاضطراب والخوف ، وأراد بذلك تصوير أحد مشاهد أهوال يوم القيامة ببيان أحوال أهله التي تكون مضطربة تنقل ببصرها ، وبأحاسيسها هنا وهناك طمعاً في النجاة وحذراً من الهلاك ، وهذا المعنى تستعمله العرب في الحروب [٢] . وتخصيص القلوب والأبصار فلأنها موضع الأحاسيس . والتعبير بالمضارع (تتقلب) للدلالة على تجدد ذلك .

***وقوله تعالى:﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ﴾ [الهمزة : ١] الهمزة : العَيّاب الطّعَان الذي يغتاب الرجل في وجهه ، واللمزة : العَيّاب الطّعَان الذي يغتابه من خلفه [٣] . لما قرر الله في سورة العصر أن الإنسان في هذه الدنيا في خسارة وشقاء إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر في هذه السورة مثالًا لهذا الإنسان الخاسر [٤] .

والجناس في الآية بين (همزة ولمزة) اللتين وقع الوعيد لكل من اتصف بهما ، وقد أسهم الجناس غير التام بين هاتين اللفظتين في الكشف عن المعنى الذي تريد السورة الكريمة أن توصله إلى المتلقين وتقرره في أذهانهم ، وهو تقبيح كل من اتصف بهذين الوصفين الذميمين ، ووعيده بأشد العقاب في الحطمة النار الموقدة . وقد زاد من قبح هذين الوصفين ومن اتصف بهما بناؤهما على وزن (فُعَلَة) وهو وزن يدل على الكثرة والمبالغة ، وأنه صار عادة لصاحبه [٥] . وهذا

---

(١) النكت في إعجاز القرآن : ١٠٠.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٦/ ٤٢٢. والبلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين ، هند نايته ، ٢/ ٧٦٨، ط١/ دار كنوز إشبيليا . الرياض ، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

(٣) ينظر : الكشاف ٤/ ٦٢٦. ومفردات الراغب ٤٥٨، ٥٢٣. والتفسير الكبير ١٦/ ٣١٦. ولسان العرب ٥/ ٤٠٦. و ٥/ ٤٢٦.
وروح المعاني ١٠/ ٤٦٠. وفتح القدير ٤/ ٥٥٠.

(٤) ينظر : البرهان في ترتيب السور لابن الزبير تح محمد شعباني ، ص: ٣٧٦. المغرب ، وزارة الاوقاف ، د. ط ، ١٤١٠هـ .

(٥) ينظر : أنوار التنزيل ٢/ ٦٢١. وحاشية الشهاب ٨/ ٣٩٧. وحاشية زاده ٨/ ٦٨١. والتحرير والتنوير ٣٠/ ٥٣٦.

زيادة تشنيع وتقبيح . وفي الانتصاف : " وما أحسن مقابلة الهمزة واللمزة بالحطمة ، فإنه لما وسمه بهذه السمة ، وبما يدل على الرسوخ والتمكن توعد فيها بهذه الصفة ليحصل التعادلُ بين الفعل والجزاء " (١) .

٩- ردّ الأعجاز على الصدور :

ردّ العجز على الصدر أو الأعجاز على الصدور ، وهو " في النثر : أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها . وفي الشعر : أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني " (٢) . ويعد الخطيب بهذا التعريف أول من فرق بين مفهوم ردّ الأعجاز على الصدور في النثر ومفهومه في الشعر ، وما من شك في أن هذا التفريق أرسى دعائم هذا الفن ، وزاده عمقاً ووضوحاً . ويعد ابن المعتز أول من خص المصطلح بباب مستقل ، وتحدث عنه بشكل مفصل إلا أنه لم يضع تعريفاً له ، وكذلك فعل العسكري في الصناعتين (٣).

وقد تعددت أقسام هذا الفن البديعي وكثرت صوره فقد بدأت بثلاث صور عند ابن المعتز واستشهد لها بأكثر من أربعين شاهداً من القرآن والحديث والشعر العربي وكلام العرب (٤) ، ثم اثنتي عشرة صورة عند الخطيب (٥) حتى وصلت إلى خمس وعشرين صورة عند صاحب روضة الفصاحة (٦) . والمبالغة في كثرة هذه الصور من باب التفنن في التقسيم وإظهار القدرات العقلية التي لا تعود على البلاغة بطائل .

---

(١) الانتصاف ، لابن المنير ، حاشية الكشاف ، ٤/ ٦٢٦. وينظر : فتوح الغيب ١٦/ ٥٦٩.

(٢) الإيضاح : ٦/ ١٠٢.والتلخيص ٣٩٣.

(٣) ينظر : البديع لابن المعتز ٦٢. والصناعتين ٤٠٠.

(٤) ينظر : البديع لابن المعتز ٦٢-٦٨. ودراسات في علم البديع ، ١٦٧. أحمد محمد علي ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

(٥) ينظر : الإيضاح ٦/ ١٠٢

(٦) ينظر : روضة الفصاحة ، محمد الرازي ، تحقيق : خالد الجبر ، دار وائل للنشر ، ط١، ٢٠٠٥م .

*** **ومما ورد في كتاب الله قوله تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٤] فإنه لما ذكر الله طائفة من بني إسرائيل نصرت عيسى – عليه السلام – وهم الحواريون شرع في بيان الطائفة الأخرى التي حاولت قتله . ومكروا أي كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وذلك بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ، ومكر الله) بهم جزاء لهم على مكرهم ، والله خير الماكرين ، ردّ كيدهم في نحورهم فانقلبوا خاسرين .

ففي الآية ردُّ للعجز على الصدر ، فقدر ردّ عجز الآية (والله خير الماكرين) على صدرها (ومكروا) ، وفي ذلك تقرير لمضمون ما قبله ، من أن الله سبحانه أقواهم مكرًا ، وأنفذهم كيدًا، وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب، وقد جاء الصدر في رأس الآية والعجز في آخرها ، وجاء الصدر والعجز باللفظين الملحقين بالجناس لعلاقة الاشتقاق . وإظهار لفظ الجلالة (الله) في موقع الإضمار لتربية المهابة في نفوس المخاطبين [١].

*** وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [التوبة : ٦٤] لما أخبر الله عن المنافقين أنهم يحلفون كذبًا لإرضاء المسلمين في قوله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة : ٦٢] ذكر أنهم يعيشون في حذر من أن يكشف الله أمرهم . وفي الآية يخبر الرب سبحانه وتعالى أن المنافقين يخشون أن تنزل فيهم سورة تكشف عمّا في قلوبهم فجوزوا الاستهزاء ، قل استهزئوا إن الله مظهر ما تخونونه وتحذرون ظهوره.

وفي الآية رد للعجز على الصدر ، فقد ردّ (تحذرون) على صدرها وهو (يحذر) وفي ذلك تأكيد من الله تعالى بفضح سرائر المنافقين ، وما يضمرونه من عداء للإسلام والمسلمين ، وتهديد وتخويف لنفوسهم المتقلبة من أن تبقى على نفاقها وكيدها للإسلام وأهله ، وقد جاء العجز مطابقاً للصدر ، حيث إنهما فعلان ، وفيه إيماء بأن حذر كل شخص منهم بعينه مفضوح من قبل الله ، وقد جاء

(١) ينظر : إرشاد العقل ١/ ٣٧٥.

الصدر في رأس الآية والعجز في آخرها وجاء الصدر والعجز باللفظين المكررين . وعبر بالفعل المضارع (يحذر) عن الحالة الماضية [١] ؛ لما يشعر به من استحضار للحالة التي كان عليها المنافقون [٢] . ومعنى : (تنبئهم بما في قلوبهم) تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنما تخبرهم بها [٣] . وفي إيثار التعبير بقوله : (تنبئهم) دون تخبرهم للدلالة على أن الأمر الذي انطوت عليه نفوسهم الخبيثة ليس بأمر عادي ، وإنما هو أمر عظيم .

والأمر في قوله : (استهزئوا) للتهديد والوعيد . " وإسناد الإخراج إلى الله تعالى للإشارة إلى أنه سبحانه يخرجه إخراجاً لا مزيد عليه "[٤]. والعدول إلى التعبير بالموصول في قوله : (ما تحذرون) دون أن يقال : إن الله مخرج سورة تنبئكم بما في قلوبكم ؛ لأن الأهم من تهديدهم هو إظهار سرائرهم لا إنزال السورة ، فذكر الصلة واف بالأمرين : إظهار سرائرهم ، وكونه في سورة تنزل ، وهو أنكى لهم ففيه إيجاز بديع " [٥] .

*** ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور : ٤١] " لما ذكر تعالى مثل المؤمنين بقوله : (رجال لا تلهيهم) ومثل الكافرين بقوله : (والذين كفروا أعمالهم) وأن الإيمان والضلال أمرهما راجع إليه أعقب ذلك بذكر الدلائل على قدرته وتوحيده " [٦] وفي الآية ينبه الله عباده على عظمته وكمال سلطانه وافتقار جميع المخلوقات إليه في ربوبيتها وعبادتها فهي تسبح لله تعالى ، وكل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به ، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح إما بواسطة الرسل كالجن والإنس والملائكة وإما بإلهام منه تعالى كسائر المخلوقات والله يعلم أفعال الجميع .

---

(١) ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ، إسماعيل بن محمد ، ط١، ٩/ ٢٧١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١٠/ ١٣٨.

(٣) الكشاف : ٢/ ٢٦٥.

(٤) روح المعاني ٥/ ٣١٩.

(٥) التحرير والتنوير ١٠/ ١٤٠.

(٦) البحر المحيط ٦/ ٤٢٥

وفي الآية رد للعجز على الصدر حيث ردّ قوله : (وتسبيحه) على قوله : (يسبح) وفي ذلك تأكيد لعظمة الله وخضوع الكون له ، حيث إن من في السموات والأرض والطير يسبح بحمده . وهذا التسبيح بشكل دائم ومستمر " وتقريع للكفار وتوبيخ لهم حيث جعلوا الجمادات التي من شأنها التسبيح لله شركاء له ، يعبدونها كعبادته عز وجلّ " [١] . وقد جاء الصدر والعجز في أثناء الآية ، وجاء الصدر والعجز باللفظين الملحقين بالجناس لعلاقة الاشتقاق ، إذ إن الكلمتين ترجعان إلى أصل لغوي واحد وهو (سبح)

وفي توكيد الخبر بإنّ والجملة الاسمية في قوله : (إنّ الله يسبح) دلالة على تحققه في الواقع ، ومجيء الخبر جملة فعلية لتوكيد مضمونه ، والتعبير بالفعل المضارع لإفادة وقوع هذا التسبيح في جميع الأزمان [٢] .

و(مَنْ) عام لكل موجود ، " وإيثارها على (ما) كأن كل شيء مما عز وهان ، وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان عاقل ناطق ، ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه " [٣] .

وفي إيراد المسند (صافات) اسماً للدلالة على الثبوت والدوام . و " خص الطير بالذكر مع دخولها تحت من في السموات والأرض ؛ لعدم استمرار استقرارها في الأرض وكثرة لبثها في الهواء ، وهو ليس من السماء ولا من الأرض ولما فيها من الصنعة البديعة التي يقدر بها تارة يطير وهي كون صدور التسبيح منها حال كونها صافات لأجنحتها ؛ لأن هذه الحالة هي أغرب أحوالها ، فإن استقرارها في الهواء مسبحة من دون تحريك لأجنحتها من أعظم صنع الله الذي أتقن كل شيء " [٤] .

تمت بحمد الله وتوفيقه .

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق القنوجي ، ٩/ ٢٤٠. المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٢) ينظر : التفسير البلاغي للمطعني ٣/ ٣٧. ط٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م .

(٣) البحر المحيط ٦/ ٤٢٥

٤) فتح البيان ٩/ ٢٤٠.

*****- الخاتمة**

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فهذا ضربٌ من الدراسة ، ولقد كانت دراسة ممتعة ؛ تفيأت من خلالها في ظلال كتاب الله وآياته ، وكلما قطعت فيه شوطاً أحسست بقصوري فيه ، وضآلة ما في يدي منه ، وكيف لا ؟ وأنا بصحبة كتاب لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال ، ومع ذلك فقد جهدت في رفع الحجب ، وكشف الستر عن هذه الدراسة ، حتى تمخضت عن نتائج وتوصية ، أرغب في تقييدها ، وأوجزها فيما يأتي :

*- تجلى لنا مما سبق أن علم البديع فرع أصيل من علوم البلاغة الثلاثة ، وهو يحتل مع صنويه مكانة سامية ومرتبة رفيعة بين العلوم الإسلامية والعربية ؛ لأنها تعد وسيلة لمعرفة أوجه الإعجاز القرآني وفهم معانيه وأسراره .

*- لم يكن البديع في القرآن الكريم ، وفي غيره من الفنون فناً للزينة والزخرفة اللفظية المجردة ، بل كان ركناً ذاتياً أصيلاً بلاغيا مهماً ، ووسيلة محورية فاعلة للكشف عن كثير من الأبعاد الدلالية والجمالية والتأثيرية في المتلقي .

*- يعتبر فن الطباق أكثر الفنون البديعية في القرآن الكريم ، كما أفرزت دلالات الطباق والمقابلة في فهم الجوانب الجمالية وتمكينها في النفس ، حيث أسهمت تلك التشكيلات التجميعية المتضادة والمتلاحقة و المتعاضدة في إحداث قوة سبك وحبك ونظم بديع بين الجمل التي تنتجها هذه الأساليب في التعبير القرآني .

*- قام أسلوب مراعاة النظير على اعتبارات أهمها : الدقة في اختيار الألفاظ ومناسبتها للمعاني ، وإحكام وضع الألفاظ وضعها المناسب لدلالاتها ، وتنمية قدرات اللغة الكامنة في التعبير ، مما له أثره على مستوى التخاطب والتواصل زيادة على مستواها الفني والجمالي .

*- وظيفة فن التقسيم تعمل على تشويق المتلقي وتنشيط ذاكرته لمتابعة ربط كل قسم بقسيمه بحسب نوع العلاقة بين أجزاء الكلام ، مؤدياً بذلك وظائف دلالية وجمالية يمكن كشفها من التأمل العميق والتأويل الدقيق كان التقسيم صورة من صور التناسب التي أثرت كثيراً في ثراء المعنى وتنميته ، ذلك أن

الأسلوب القرآني كان يعتمد التقسيم وسيلة لتقريب الصورة وزيادة مساحة الإدراك .

*- وجدت الدراسة أن بعض الفنون البديعية في التعبير القرآني تقوم على نمط من العدول والانزياح عن المألوف على مستوى اللفظ ؛ لاسيما الجناس القائم على فكرة المخادعة ، وكسر أفق التوقع الناتج عن اتحاد اللفظين شكلياً ، والمشاكلة الذي يكمن سرّ جمالها في المفاجأة التي يتركها هذا الفن في نفس المتلقي عندما يلاحظ أن التشابه ليس باللفظ وإنما بالمعنى ، وعلى مستوى المعنى يعدل عنها إلى دلالة أخرى تحتملها فتكشف بذلك عن الأثر الجمالي الذي توحي به ، وتوسع المساحة الذهنية للمتلقي في معرفة مقاصد التعبير وأغراضه ويظهر ذلك في التجريد .

*- تكمن بلاغة ردّ العجز على الصدر في دلالة أول الكلام على آخره وارتباط آخره بأوله ، محققاً غرضين أحدهما المعنوي ويتجلى في التأكيد والتقرير والتمكن والآخر لفظي ويبرز في الإيقاع الشجي والنغم المؤثر ، وهذان الغرضان يسهمان في توضيح المعنى والدلالة على المقصود .

*- جاءت فنون البديع في آيات الدراسة مطبوعة بعيدة عن التكلف والصناعة ، مراعية للمقام ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياق ، أسهمت في ثراء المعنى وجمال صياغته ، وهو ما جعلها أنموذجاً رفيعاً للبلاغة .

*- توصي هذه الدراسة بتعميق البحث البلاغي والتركيز على الألوان البديعية وإبراز وظيفتها الفنية والجمالية .

***- قائمة أهم المصادر والمراجع**

١- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ، بدوي طبانة ، ط٢، مطبعة الرسالة ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

٢- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للقاضي أبي السعود ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٤- أسرار البلاغة ، لعبد القاهر ، تعليق : محمود شاكر ، ط١ ، دار المدني ، جدة ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م .

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٦- الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، شرح وتعليق : د . محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٣، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٧- البحر المحيط ، لأبي حيان ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

٨- البديع في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦م .

٩- بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني شرف ، نهضة مصر . (د . ط) ، (د . ت) .

١٠- البيان والتبين ، للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د. ط ، د. ت .

١١- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين الزركشي ، تحقيق : زكي أبو سريع ، ط١، دار الحضارة للنشر ، الرياض ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٢- بلاغة البديع في جزء عمّ ، عمر عبد العزيز محمود ، جامعة الامام - الرياض ، ١٤٣٣هـ .

١٣- البلاغة عند السكاكي أحمد مطلوب ، ط١ مطبعة دار التضامن ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤.

١٤- البلاغة في ثوبها الجديد (علم البديع) بكري شيخ أمين ، ط١، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م .

١٥- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد أبو موسى ، ط٢، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
١٦- البلاغة والتطبيق أحمد مطلوب وكامل حسن ، ط١، وزارة التعليم العالي ، العراق ، ١٩٨٢م .
١٧- التبيان في علم المعاني والبديع و ، البيان للطيبي ، تحقيق : هادي الهلالي ، ط١، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧.
١٨- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، لابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني شرف ، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .
١٩- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، د. ط، د. ت .
٢٠- التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، دار الحديث ، القاهرة ، د. ط، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .
٢١- التفسير البلاغي للاستفهام ، عبد العظيم المطعني ط٣، مكتبة وهبة ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
٢٢- حاشية محي الدين شيخ زاده ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
٢٣- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم المطعني ، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .
٢٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لشهاب الدين السمين الحلبي ، تحقيق : علي معوض وآخرون ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
٢٥- دراسات منهجية في علم البديع ، للشحات أحمد أبو ستيت ، ط١، دار خفاجي ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .
٢٦- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر ، تعليق : محمود شاكر ، ط٣، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين الألوسي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م
٢٨- سرّ الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

٢٩- الصبغ البديعي في اللغة العربية ، أحمد موسى ، دار الكتاب العربي للنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .
٣٠- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، للسبكي ، تحقيق : خليل إبراهيم ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م
٣١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٣٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن عيسي الشوكاني ، ط٤، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
٣٣- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، للطيبي ، ط١، مصرف دبي الإسلامي ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
٣٤- في البنية والدلالة سعد أبو الرضا ، نشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٣٥- الكامل في اللغة والأدب ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
٣٦- الكتاب ، لأبي بشر عمرو سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٣٧- كتاب البديع ، لابن المعتز ، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١.
٣٨- كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تح : مفيد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م
٣٩- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، للعلوي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٤٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجود التأويل ، للزمخشري ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .
٤١- اللباب في علوم الكتاب المكنون ، لابن عادل ، تحقيق : عادل عبد الموجود وآخرون ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .
٤٢- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ،(د. ط ، د.ت).
٤٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، تعليق : أحمد الحوفي وبدوي طبانه نهضة مصر للنشر ، د. ط ، د. ت

٤٤- محاسن التأويل ، لمحمد للقاسمي ط١، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م .
٤٥- محاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين ، يحيي محمد عطيف ، ط١، نادي أبها الأدبي ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م
٤٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام شافي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٤٧- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، للتفتازاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
٤٨- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسيوطي ، تحقيق : علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، (د. ت) .
٤٩- مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر للنشر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ..
٥٠- من أسرار التعبير القرآني . محمد أبو موسى ، ط٢مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٦هـ .
٥١- النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ، محمد زغلول ، ط٤، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت) .
٥٢- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، للرازي ، ط١، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

References :

1- 'abu hilal aleaskari wamaqayisuh albalaghiat walnaqdiat , badawi tabaanat , ta2, matbaeat alrisalat , 1379h - 1960m .
2- al'iitqan fi eulum alquran , lilsuyutii , tahqiq : muhamad 'abu alfadl , almaktabat aleasriat , bayrut , 1408h - 1988m .
3- 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim , lilqadi 'abi alsueud , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1419h - 1999m .
4- 'asrar albalaghat , lieabd alqahir , taeliq : mahmud shakir , ta1 , dar almadanii , jidat , 1412h- 1991m .-
5- 'anwar altanzil wa'asrar altaawil , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1420h - 1999m .
6- al'iidah fi eulum albalaghat , lilkhatib alqazwinii , sharh wataeliq : d . muhamad eabd almuneim khafajii , ta3, dar aljil , bayrut , 1414h - 1993m.
7- albahr almuhit , li'abi hayaan , tahqiq : eadil 'ahmad eabd almawjud wakhrun , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1422h- 2001m
8- albadie fi daw' 'asalib alquran , eabd alfataah lashin , ta3, maktabat al'anjilu almisriat , 1986m .
9- badie alquran , liabn 'abi al'iisbie , tahqiq : hifni sharaf , nahdat misr . (da . ta) , (dd . t) .
10- albayan waltabayun , liljahiz , tahqiq : eabd alsalam harun , dar aljil , bayrut , da. t , da. t .
11- alburhan fi eulum alquran , libadr aldiyn alzarkashiu , tahqiq : zaki 'abu sarie , ta1, dar alhadarat lilnashr , alriyad , 1427h - 2006m .
12- balaghat albadie fi juz' em , eumar eabd aleaziz mahmud , jamieat alamam - alriyad , 1433h .-
13- albalaghat eind alsakakii 'ahmad matlub , ta1 matbaeat dar altadamun , 1384h - 1964.
14- albalaghat fi thawbiha aljadid (ealam albadiei) bakri shaykh 'amin , ta1, dar aleilm lilmalayin , bayrut , 1987m .
15- albalaghat alquraniat fi tafsir alzamakhsharii , muhamad 'abu musaa , ta2, maktabat wahbat , alqahirat , 1408h- 1988m .
16- albalaghat waltatbiq 'ahmad matlub wakamil hasan , ta1, wizarat altaelim aleali , aleiraq , 1982m .
17- altibyan fi eilm almaeani walbadie w , albayan liltiybi , tahqiq : hadi alhilali , ta1, ealam alkutub , bayrut , 1407h - 1987.
18- tahrir altahbir fi sinaeat alshier walnathr , liabn 'abi al'iisbie , tahqiq : hifni sharaf , tabeat lajnat 'iihya' alturath al'iislamii , alqahirat , 1435h - 2014m .
19- altahrir waltanwir , muhamad altaahir abn eashur , dar sahnun lilnashr waltawzie , tunis , da. ta, da. t .
20- altafsir alkabir , lifakhr aldiyn alraazii , dar alhadith , alqahirat , da. t , 1433h - 2012m .
21- altafsir albalaghiu liliastifham , eabd aleazim almuteanii ta3, maktabat wahbat , 1432h - 2011m .
22- aljamie alkabir fi sinaeat almanzum min alkalam walmanthur dia' aldiyn aibn alathir , tah mustafaa jawad wajamil saeid , baghdad 1375h

23 hashiat muhi aldiyn shaykh zadah , t 1 , dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1419h - 1999m .
24- khasayis altaebir alquraanii wasimatih albalaghiat , eabd aleazim almateanii , ta1, maktabat wahbat , alqahirat , 1413h- 1992m .
25- aldur almasuwn fi eulum alkitaab almaknun , lishihab aldiyn alsamin alhalabii , tahqiq : eali mueawad wakhrun , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1414h -1993m .-
26- dirasat manhajiat fi eilm albadie , lilshahaat 'ahmad 'abu stit , ta1, dar khafaji , 1414h- 1994m .
27- dalayil al'iiejaz , lieabd alqahir , taeliq : mahmud shakir , ta3, matbaeat almadanii , alqahirat , 1413h - 1992m .
28- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani , lishihab aldiyn al'alusii , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1422h - 2001m.
29 siru alfasahat , liabn sinan alkhafajii , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1402h - 1982m .
30- alsabgh albadieiu fi allughat alearabiat , 'ahmad musaa , dar alkitaab alearabii lilnashr , alqahirat , 1388h - 1969m .
31- earus al'afrah fi sharh talkhis almiftah , lilsabakii , tahqiq : khalil 'iibrahim , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1422h- 2001m.
32- aleumdat fi mahasin alshier wadabih wanaqdih , liabn rashiq , tahqiq : eabd alhamid hindawi , ta1, almaktabat aleasriat , bayrut , 1422h - 2001m .
33- fath alqadir aljamie bayn faniyi alriwayat waldirayat min eilm altafsir , limuhamad bn eaysi alshuwkanii , ta4, maktabat alrushd , alriyad , 1426h - 2005m .
34- fatuh alghayb fi alkashf ean qinae alriyb , liltiybii , ta1, masrif dubaya al'iislamii , 1434hi - 2013m .
35- fi albinyat waldalalat saed 'abu alrida , nashr munsha'at almaearif , aliaiskandariat , 1408h - 1988m .
36- alkamil fi allughat wal'adab , ta1, almaktabat aleasriat , bayrut , 1418h - 1997m .
37- alkitab , li'abi bashar eamru sibwih , tahqiq : eabd alsalam harun , ta3, ealam alkutub , bayrut , 1403h - 1983m .
38- kitab albadie , liabn almuetazi , ta1, muasasat alkutub althaqafiat , bayrut , 1422h - 2001.
39- kitab alsinaeatayn , li'abi hilal aleaskarii , tah : mufid qamihat , ta2, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1404h - 1984m
40- kitab altiraz almutadamin li'asrar albalaghat waeulum haqayiq al'iiejaz , lileulwii , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1415h - 1995m .
41- alkashaaf ean haqayiq altanzil waeuyun altaawil fi wujud altaawil , lilzamakhsharii , dar alhadith , alqahirat , 1433h - 2012m .
42- lisan alearab , liabn manzur , dar sadir , bayrut , (d. t , da. t) .
43- almathal alsaayir fi 'adab alkatib walshaaeir , liabn al'athir , taeliq : 'ahmad alhawfi wabadawi tabaanih nahdat misr lilnashr , du. t , da. t
44- mahasin altaawil , limuhamad lilqasimii ta1, dar 'iihya' alkutub alearabiat , 1376h- 1957m .

45- muhawalat altajdid fi albalaghat alearabiat eind almueasirin , yuhyi muhamad eatif , ta1, nadi 'abha al'adabii , 1431h - 2010m
46- almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziz , liabn eatiat al'andalusi , tahqiq : eabd alsalam shafi , ta1, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1422h - 2001m .
47- almutawal sharh talkhis miftah aleulum , liltiftazanii , tahqiq : eabd alhamid hindawi , ta2, dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1428h - 2007m .
48- almazahir albadieiat wa'atharuha al'uslubiu fi altaebir alquranii , hudaa sihud , risalat majistir , fi allughat alearabiat - jamieat dayalaa , 1434h - 2013m .
49- muetarak al'aqran fi 'iiejaz alquran , lilsuyutii , tahqiq : ealii albijawi , dar alfikr alearabii , (du.ta) , (d. t) .
50- maqayis allafat , liabn faris , tahqiq : eabd alsalam harun , dar alfikr lilnashr , 1399h - 1979m ..
- min 'asrar altaebir alquraanii . muhamad 'abu musaa , ta2maktabat wahbat , alqahirat , 1416h-
.51- alnakt fi 'iiejaz alquran , lilrumani , dimn thalath rasayil fi 'iiejaz alquran , tahqiq : muhamad khalaf allah , muhamad zaghlul , ta4, dar almaearif , alqahirat , (d . t)
52- nihayat al'iijaz fi dirayat al'iiejaz , lilraazii , ta1, dar aljil , bayrut , 1412h - 1992m .